01/12/2021

محاضرات التطبيق المنهجي للّغة العربيّة

دلالة الجملة العربيّة

الدكتور عبد الغـــاني بن شعبان
أستاذ محاضر بقسم الترجمة كلية الآداب واللّغات
بجامعة الإخـــــــوة منتوري قسنطينة1 الجزائر

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الإخوة منتوري قسنطينة

كلية الآداب واللّغات

قسم الترجمة

مطبوعة التطبيق المنهجي للغة العربية دلالة الجملة العربية

موجّهة إلى طلبة سنة ثانية ليسانس

إعداد الدكتور عبد الغاني بن شعبان

2021

تقديم:

هذه الورقة البيداغوجية هي تكملة لمادة التطبيق المنهجي للغة العربية الموجهة لطلبة قسم الترجمة بمختلف المستويات، وفي مضمونها متابعة لعناصر الجملة العربية التي تمّ التطرّق لها في الورقة البيداغوجية الأولى والتي كانت موجّهة إلى طلبة سنة أولى ليسانس. حيث سيتوجّه الحديث إلى دلالة الجملة العربية. والشيء الذي يجب الإشارة إليه هو اعتماد هذه المطبوعة في ترتيب مضمونها على التقسيم الذي قدّمه كتاب الجملة العربية والمعنى للدكتور فاضل صالح السامرّائي طبعة دار ابن حزم بيروت لبنان الطبعة الأولى 1461ه/2000م. مع الاجتهاد في صياغة مجموع الأمثلة التي ساقها الدّكتور السّامرّائي وإضافة أخرى عليها كلّما تطلّب الأمر ذلك. مع الاعتماد كذلك على عديد كتب اللّغة العربية وتفاسير القرآن الكريم وعلومه، لشرح تلك الأمثلة في محاولة لتأصيل المعلومات بمضانّها.

المحاضرة الأولى

تمهيد:

بعدما تمّ مناقشة كيفية تشكيل الكلام في المطبوعة الأولى، جاء الحديث في هذه المطبوعة على دلالة الجملة والتي تقسّم بحسب اعتبارات عدّة ومختلفة، فقد تكون قطعية أو احتمالية، وقد تكون ظاهرة أو باطنة، وقد تكون خاصة أو عامّة، وقد تكون تامّة أو ناقصة. وسنقدّم في هذه الورقة تفصيلا لما تعلّق بالقطع والاحتمال وما تعلّق بالباطن والظاهر. ليبقى الخصوص والعموم والتمام والنقصان مما يناقش حسب الحالات الحضورية، أي في سياق محدّد.

الدلالة بالقطع والاحتمال:

عند التعامل مع الجملة العربية بمختلف مستوياتها غالبا ما يلاحظ انقسامها إلى نوعين من الدّلالة، فقد تكون قطعية لا لبس فيها، دلالتها تصب في اتجاه واحد، فلا تحتمل غيره، كالقول مثلا لشخص ما عند الاستيقاظ في الصباح "صباح الخير" أو القول لآخر في نهاية اليوم عند استعداده للنوم "تصبح على خير"، وقد تلقي التحية على مجموعة من النّاس بالقول "السلام عليكم" فدلالات هذه الكلمات لا تحتاج إلى التقصي للوصول إليها أو أي جهد في إعمال العقل، بل تدرك بشكل تلقائي. بينما تحتاج الدلالة الاحتمالية إلى إعمال الفكر والعقل للوصول إلى معناها فهي تحتمل أكثر من معنى، كالقول مثلا "عندي إناء عسل" فجملة بهذا التركيب قد تؤدّي معنيين، الأوّل هو امتلاك إناء ممتلئ بالعسل، أمّا الثاني فهو امتلاك إناء مخصّص لوضع العسل فيه.

ولظهور الاحتمال في الجملة العربية أسباب منها:

الاشتراك اللفظي في معنى المفردة:

فالكلمة قد تحتمل في سياق استعمالها معان عدّة، فمثلا عندما تستعمل كلمة "العين" في سياقات مختلفة قد يختلف معناها، ومثال ذلك استعمال هذه الكلمة عند لبيد بن ربيعة في معلّقته حيث قال:

والعينُ ساكِنة على أطلائها***عوذا تأجلُ بالفضاءِ بهامها.[1]

وباختلاف الرّوايات قد تكون الوحش وهو ما وجد في شرح المعلقات العشر للشيباني[2] (والوحش ساكنة على أطلائها عوذا تأجل بالفضاء بهامها) بينما في شرح الزوزني[3] فهي موافقة لرواية الديوان إلى أنّ المقصود هو البقر الوحشي بأعينه، أي دلالة الجزء على الكلّ. وكذلك يمكن استعمال "العين" في قطاع الجوسسة، واستعمالها في جارحة الإنسان.

كما أنّ كلمة "القرء" المذكورة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾.[4] تدخل في المثال نفسه، وقد أخذت منحى أبعد عند محاولة فهم المقصود منها، خاصّة لكونها وقعت في سياق به حكم شرعي، يتعلّق بالمرأة المطلقة، فجاء الاحتمال

[1] لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري، ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق حمدو طمّاس، دار المعرفة، الطبعة الأولى 1425هـ/2004م ص98.
[2] أبي عمرو الشيباني، شرح المعلقات التسع، تحقيق وشرح عبد المجيد همو، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1422 هـ -2001 م.
[3] حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، أبو عبد الله، شرح المعلقات السبع، دار احياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1423هـ/2002م
[4] سورة البقرة 228.

على معان متعدّدة، بحسب ما ذهب إليه المفسّرون[1] فالعرب برأييهم يطلقون القرء للدّلالة على أوجه متعدّدة، فمنهم مَنْ يُسَمِّي الْحَيْضَ قُرْءًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُسَمِّي الطُّهْرَ قُرْءًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْمَعُهُمَا جَمِيعًا، فَيُسَمِّي الطُّهْرَ مَعَ الْحَيْضِ قُرْءًا. ومنهم من رأى بأن لّفظ الأقراء من الأضداد في كلام العرب، بينما رأى جمع آخر بأنّه حقيقة في الحيض، مجاز في الطهر. وهنالك من قال بعكس ذلك. والقائلون بهذا القول اختلفوا على ثلاثة أقوال فالأوّل: أن القرء هو الاجتماع، ثمّ في وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم، وفي وقت الطهر يجتمع الدم في البدن. والثاني أنه عبارة عن الانتقال من حالة إلى حالة. والثالث أن القرء هو الوقت من أقرأت النجوم إذا طلعت، وأقرأت إذا أفلت، وقارئ الرياح لوقت هبوبها.

ومن الأمثلة كذلك كلمة "اليد" التي جاء ذكرها في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾.[2] فاليد معلومة ولو كان الامر يتعلّق بالبشر لكان ذلك واضحا، لكن بحسب السياق اليد ركّبت مع فعل الخلق في مخاطبة الله عزّ وجلّ لإبليس، فكان مفهوم الخلق باليد محتاجا إلى تأويل، فكثر المتكلّمون في ذلك، وكان الجدل قائما بينهم، فمنهم من يثبت الأعضاء والجوارح لله سبحانه وتعالى، وبينهم من ينفي ذلك ويحمل المعنى على المجاز. فقدّم من ثمّة المفسّرون أوجها تعدّدت الآراء معها. فالرأي الأوّل ذهب إلى إثبات يدين للّه تعالى، حيث إن ظاهر الآية عندهم يدل عليه، فوجب المصير إليه.

[1] ينظر أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية القاهرة، الطبعة الثانية 1384هـ/1964م، ج3 ص113. وينظر محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب دار إحياء التراث العربي بيروت ج6 ص435.

[2] سورة ص75.

بينما عمل الرّأي الثاني على نفي القول بالظاهر، حاملا ذلك على المجاز، في محاولة لتنزيه الله عن مشابهة المخلوقات وعن الجسمية وقصدهم الحذر من تحكيم الآراء في صفات الله. أو أن تحمل العقول القاصرة صفات الله على ما تعارفته. فالله سبحانه وتعالى بهذا الرّأي قد أضاف خلقه إلى نفسه تكريما له؛ أي خلقا خاصا يراد به دفع ومباشرة لعملية وأمر التكوين، فكان ذلك متعلّقا بإيجاد المخلوقات بوضع مسبباتها، من حمل وولادة كما هو معروف في خلّق الموجودات وخلافتها لبعضها من أصولها. وفي آدم أمر آخر لا يعلمه إلاّ الله سبحانه وتعالى. واليدان تمثيل لتكون آدم من مجرد أمر التكوين. مخاطبا النّاس بما يعرفونه في تعاملهم، فالرّئيس لا يباشر شيئا بيده إلاّ على سبيل الإعظام والتكرّم، ولذلك فذكر اليد بهذا الاستعمال، معناه التأكيد والصّلة. وقد ذكر القائلون بهذا الرّأي وجوها في لفظ اليد منها. أنّ اليد عبارة عن القدرة، على استعمال العرب، ما لي بهذا الامر من يد؛ أي من قدرة وقوّة وطاقة. أو أنّ اليد عبارة عن النعمة، بالاستعمال أيادي فلان في حق فلان ظاهرة؛ أي النعم. أو أنّ اليد وضعت فقط للتأكيد.[1]

والأمثلة على هذا المنوال متعدّدة في القرآن الكريم. فاليد مثلا قد جاءت في القرآن الكريم بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾.[2] ومنها ذكر الوجه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ

[1] ينظر أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن=تفسير القرطبي ج15 ص228. وينظر محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت ج26 ص410. وينظر محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير المعروف، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى1420هـ/2000م، ج23 ص191.

[2] سورة يس 71.

إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.[1] وفي قوله تعالى: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[2] وقد سار المفسّرون على الطريقة سالفة الذكر في فهمهم لهذه النصوص وفي إفهامها للناس.

ويبدوا الأمر أكثر تعقيدا في كلمة "العين" لمّا جاءت بالجمع "أعيننا" في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾.[3] وفي قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾.[4]

فقد ذهب التفسير إلى أن المقصود بـ"أعيننا" هو علم الله ووحيه مثلما يأمر بذلك ويمرئى منه.[5]

هذا بالنسبة للكلمات، فقد يظهر الاشتراك كذلك في الأدوات مثل "ما" التي تحتمل الاستفهام والنفي والمصدرية والموصولية. كالقول (ما لك خير)، فهذا أن تنفي الخير عنه، أو تقر بأنّ الشيء الذي يمتلكه خير، أو أن تستفهم عن قيمة الخير.

والتوجّه نفسه، هو الذي دفع ببعض المفسّرين[1] إلى قراءة قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾.[2] على التحقيق في الخبر حيث قرأت "هل" بمعنى "قد"

---

[1] سورة القصص 88.
[2] سورة الروم 38.
[3] سورة هود 37.
[4] سورة الطور 48.
[5] مساعد بن سليمان الطيار- نوح بن يحيى الشهري، موسوعة التفسير المأثور، إعداد: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، الناشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي- دار ابن حزم – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٣٩ - ٢٠١٧

وليس على الاستفهام أو استفهام تقريري، وهو هنا موجّه برأيهم إلى غير معيّن ومستعمل في تحقيق الأمر المقرّر به على طريق الكناية لأنّ الاستفهام طلب الفهم، والتقرير يقتضي حصول العلم بما تقرّر به. ومعناه برأيهم قد أتى على الإنسان حين من الدهر. «وهل» قد تكون جحدا، وتكون خبرا. فهذا من الخبر لأنك قد تقول: فهل وعظتك؟ فهل أعطيتك؟ بمعنى قد أعطيته ووعظته. والجحد أن تقول: وهل يقدر واحد على مثل هذا؟

وقد ذهب توجّه آخر في تفسير "هل" بالقول أنّ دورها الاستفهام الانكاري غرضه النفي؛ أي ما أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وظاهره القول بقدم الإنسان في الزمان على معنى أنه لم يكن زمان إلّا وفيه إنسان.[3]

---

[1] ينظر أبو زكريا يحي بن زياد الفراء، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد على نجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة مصر ج3ص213. وينظر محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب دمشق، بيروت، الطبعة الأولى1414هـ ج5 ص104. وينظر محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير المعروف، مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1420هـ/2000م ج29 ص345.

[2] سورة الإنسان 1.

[3] شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت 1415 هـ ج15 ص168.

المحـــــاضرة الثانيـــــة

ومن مسبّبات الاحتمال في الجملة العربيّة كذلك

الاشتراك في دلالة الصيغة:

هنالك بعض الصيغ الصرفية تشترك ببنائها في أكثر من معنى مثل صيغة "فعيل" فقد تكون مصدرا من (فعل يفعل فعيلا) مثل صهل/صهيلا، وقد تكون دالة على تكرّر الفعل مثل: كرم/كريما. ويمكن التمثيل في الاحتمال بالجملة الآتية: (لا قيام في القاعة)، فهي تحتمل النفي؛ أي لا يوجد شخص قائم في القاعة، ودلالة صيغة "قيام" بذلك هو الجمع. وتحتمل النهي بالأمر؛ أي ممنوع القيام في القاعة، ودلالة صيغة "قيام" هو المصدر.

عدم التبيّن من كون القول كلمة أو كلمتان:

ومثال ذلك (مالي عندك)، فهي تحتمل أكثر من معنى، انطلاقا من الاستفهام؛ أي ما حاجتك بي. وقد تحتمل الإخبار بوجود المال عندك. وتحتمل الإخبار بأنّ حاجتي هي عندك؛ أي أن كل ما أملك هو عندك.

عدم تبين أصل الكلمة أو وزنها:

فمثلا كلمة "أكيل"، عند وضعها في جملة (أنا أكيله) فهي تحتمل معنى الأكل؛ أي أنا مأكوله، وتحتمل معنى الكيل؛ أي أزن له.

المجيء بصيغة تفضي إلى اختلاف محتمل في الإعراب والدلالة:

وذلك ما ظهر في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.[1] وهذه الآية تسبقها آية أخرى في مضمون الدعاء وهي معطوفة عليها في قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.[2] فكأنّ الأمر بالدّعاء في الآية معطوف على الآية الثانية. فيمكن القول بأنّ الله سبحانه وتعالى يأمرنا بالدعاء تضرّعا وخيفة وخوفا وطمعا. وكلّ هذه الحالات أو الصفات جاءت منصوبة، فاختلف أهل اللّغة والتفسير في بيان داعي النصب. فذهب جمع إلى أنها مصادر في موضع الحال مؤولة بالمشتق؛ أي متضرّعين مخفّين وخائفين وطائعين. وقال بعضهم هي مصادر على حذف مضاف؛ أي دعاء تضرّع وخُفيةٍ وخوفٍ وطمع. وقيل هي أحوال على حذف مضاف أي ذا تضرّع وذا خُفيةٍ وذا تضرّع وذا طمع.[3] ويمكن قراءة النصب كذلك على الإخبار؛ أي يكون الدّعاء خوفا وطمعا.

وكذلك يمكن أن ينطبق الامر على قوله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾.[4] فالكلمة التي تسترعي الانتباه في هذه الآية هي "كَلِمَةً" حيث جاءت منصوبة (كبرت كلمةً). وهي التي جاءت بعد فعل ماض، فلو جاءت بالرّفع لدلّت

[1] سورة الأعراف56.
[2] سورة الأعراف55.
[3] ينظر جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية مصر ج2 ص298. وينظر محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب دمشق وبيروت، الطبعة الأولى1414هـ ج2 ص243. ينظر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى1420هـ/2000 م ج12 ص487..
[4] سورة الكهف5.

على الفاعلية. وقد ذهب بعض علماء اللغة[1] إلى أنّ حالة النصب هذه أقوى وأبلغ، وهي دالة على التمييز حيث الكلام مبني على أسلوب التعجّب؛ وكأنّه قيل ما أكبرها كلمةً. والفاعل برأيهم ضمير مستتر يعود على مقالتهم ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾.[2] وتخرج من أفواههم صفة للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم، فإن كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدّثون به أنفسهم من المنكرات لا يتمالكون أن يتقوّهوا به ويطلقوا به ألسنتهم، بل يكظمون عليه تشوّرا من إظهاره، فكيف بمثل هذا المنكر؟

ولو قرئ الأمر على الإخبار لقدّم قراءة أخرى لدلالة هذه الآية. فمثلما رأى المفسّرون، فكثير مما يوسوس به الشيطان في قلوب النّاس فيحدثون به أنفسهم، فلا جرأة لهم للجهر والتقوّه به. ولذلك يمكن قراءة النصب في لفظ "كلمةً" على أنّه خبر صار أو أصبح وكلاهما من النواسخ التي تدخل على الخبر فتحيله على النصب بعد أن كان مرفوعا. فالحاجة التي كانت في أنفسهم ووسوس لهم بها الشيطان وهي تفكيرهم في أن لله ولدا (سبحانه وتعالى عن ذلك)، أخرجوها إلى العلن فـ{ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا}، فصارت أو أصبحت تلك الحاجة التي كانت في أنفسهم من وساوس الشيطان كلمةً تخرج من أفواههم. فالنصب هنا إذن دالٌ على الإخبار وليس التمييز.

ومن الأمثلة التي ساقها الدكتور السامرائي (أقبل خمسة عشرة رجالا)، وهو يرى بأنّ هذه الجملة تحتمل الحال وتحتمل التمييز. فالحال أنهم أقبلوا يمشون على أرجلهم،

[1] ينظر جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي بيروت1407هـ ج2ص703. وينظر محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية حمص سورية ودار اليمامة دمشق وبيروت ودار ابن كثير دمشق وبيروت، الطبعة الرابعة1415هـ ج5 ص532.

[2] سورة الكهف4.

والتمييز أنّهم خمس عشرة جماعة كلّ جماعة هي رجال، ولو قيل (أقبل خمسة عشر رجلا) أصبح تمييزا والدلالة بذلك قطعية.

ألفاظ تفضي إلى الاحتمال في المعنى:

ومثال ذلك (ما جاءني أخوك راكبا)، فهذا يحتمل النفي التام بعدم المجيء أصلا، راكبا أو غير ذلك، ويحتمل مجيئه لكن غير راكب. ومن هذا القبيل، قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.[1] فالجزء الذي يفضي إلى الاحتمال في هذه الآية، هو في قوله {لَا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا}، وصفا لطبيعة السؤال عند الفقراء بعفّتهم التي جعلت من المفسّرين يسيرون على مذهبين لشرح ذلك. فالإلحاف برأيهم هو من الإلحاح في المسألة وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ اللِّحَافِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى وُجُوهِ الطَّلَبِ فِي الْمَسْأَلَةِ كَاشْتِمَالِ اللحاف على التغطية. ومعنى القول لا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحافاً أَنَّهُمْ لَا يَسْأَلُونَهُمْ الْبَتَّةَ، لَا سُؤَالَ إِلْحَاحٍ، وَلَا سُؤَالَ غَيْرِ إِلْحَاحٍ. لكون التعفّف صفة ثابتة لهم لا تفارقهم، ومجرّد السؤال ينافيها. والرأي الثاني يرى بأنّ المراد بذلك أنّهم إذا سألوا النّاس كان ذلك بتلطّف فلا يلحفون في سؤالهم.[2]

ومن الأمثلة كذلك القول (جاء الجند صفا صفا)، فهو يحتمل تعدّد الصّفوف عند مجيئهم. ويحتمل التوكيد على كبر حجم الصفّ وكماله. والأمر ينطبق كذلك على القول

[1] سورة البقرة 273.

[2] ينظر محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فتح القدير، ج1ص336. وينظر أبو جعفر النّحّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي، معاني القرآن الكريم، تحقيق محمد علي الصابوني جامعة أم القرى مكة المكرمة، الطبعة الأولى1409هـ ج1 ص403.

(شربت الدواء جرعة جرعة). فذلك يحتمل أمرين تجرّع الدواء على فترات وجرعات، ويحتمل شرب الدواء بكمال جرعته وتمامها؛ أي حالة توكيد.

ومن أمثلة ذلك المذكورة في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾.[1] فالكلمة المفتاح في هذه الآية هي "شيئا"، فهي التي صنعت الاحتمال. وسؤالها، على من تعود؟ على الإنسان أم على الدهر؟ هل الإنسان هو الذي لم يكن شيئا مذكورا؟ أم الدهر هو الذي لم يكن شيئا مذكورا؟ ولذلك قدّم المفسّرون[2] عديد الآراء لشرح مكمن الاحتمال. فهذا برأيهم ابتداء بلمسة رفيقة للقلب البشري: أين كان قبل أن يكون؟ من الذي أوجده؟ ومن الذي جعله شيئا مذكورا في هذا الوجود؟ وهل بعد أن لم يكن له ذكر ولا وجود؟ فجملة {لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً}، يجوز أن تكون نعتا لـ {حين} بتقدير ضمير رابط بمحذوف لدلالة لفظ {حين} على أن العائد مجرور بحرف الظرفية حذف مع جاره؛ أي لم يكن فيه الإنسان شيئا مذكورا؛ أي كان معدوما في زمن سبق. ويجوز أن تكون الجملة محلها النصب على الحال من {الإنسان}؛ أي هل أتى عليه حين من الدهر غير مذكور أو الرفع على الوصف لحين تقديره: هل أتى على الإنسان حين لم يكن فيه شيئا.

[1] سورة الإنسان1.

[2] ينظر أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى1418هـ ج5 ص527. سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، دار الشروق القاهرة، ج6 ص3777. ينظر الفراء، معاني القرآن ج3 ص213. الرازي مفاتيح الغيب ج3 ص740. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ج29 ص345.

الحذف:

الذي قد يؤدّي إلى احتمال دلالي وإعرابي. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.[1] هذه الآية جاءت بأسلوب الأمر، ومكمن الاحتمال فيها في وجود الحذف على مستوى التركيب. وفي تحليلهم لذلك رأى المفسّرون[2] بأنّ أسلوب الأمر غرضه البلاغي هو الإخبار عن حال المنافقين، فالضحك كناية عن الفرح، أمّا البكاء فهو كناية عن الحزن في وصف حالهم؛ وهذا يفضي إلى احتمال أن يكون وقت الضحك والبكاء في الدنيا نحو قوله عليه السلام لأمته: "لو يعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً" وانتصب قليلاً وكثيراً على المصدر، لأنهما نعت للمصدر؛ أي يضحكون ضحكاً قليلاً ويبكون بكاء كثيراً. وهذا من المواضع التي يحذف فيها المنعوت، ويقوم نعته مقامه، وذلك لدلالة الفعل عليه. ويجوز أن يكونا نعتاً لظرف محذوف؛ أي يضحكون زمناً قليلاً ويبكون زمناً كثيراً.

[1] سورة التوبة 82.

[2] ينظر أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دار الفكر ج5 ص65. شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق على عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت، سنة الطبع1415 هـ ج5 ص 340. محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى1418هـ ج5 ص469. أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني اللباب في علوم الكتاب، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى1419هـ /1998م ج10 ص159.

طبيعة تأليف الجملة:

هنالك بعض الجمل التي تحتمل في تأليفها أكثر من معنى، فدائما نسمع التركيب الآتي (قلّما رأيت مثلك)، فالجملة تحتمل النفي التّام؛ أي لم أر مثلك. وتحتمل أنّه رأى مثله قليلا. ومن أمثلة القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾.[1] فموطن الاحتمال في (قليلا ما يؤمنون)، والسبب برأي المفسّرين، جاء على احتمالين. الوجه الأوّل انطلاقا من التساؤل: هل كان لهم قليل من الإيمان أو كثير؟ ففيه وجهان من العربية: أحدهما ألّا يكونوا آمنوا قليلا ولا كثيرا. ومثله مما تقوله العرب بالقلّة على أن ينفوا الفعل كلّه قولهم: قلّ ما رأيت مثل هذا قطّ. والقول: مررت ببلاد قلّ ما تنبت إلاّ البصل والكرّاث؛ أي ما تنبت إلّا هذين. وكذلك القول العرب: ما أكاد أبرح منزلي وليس يبرحه وقد يكون أن يبرحه قليلا. والوجه الآخر أن يكونوا يصدقون بالشيء قليلا ويكفرون بما سواه: بالنبي صلى اللّه عليه وسلّم فيكونون كافرين وذلك أنه يقال: من خلقكم؟ ومن رزقكم؟ فيقولون: اللّه تبارك وتعالى، ويكفرون بما سواه: بالنبي صلى اللّه عليه وسلّم وبآيات اللّه.[2]

ومن الأمثلة كذلك القول (حلف أن يضربك) فهي تحتمل نفي الضرب وإثباته، فيكون المعنى (حلف أن لا يضربك) و(حلف ليضربك).

---

[1] سورة البقرة 88.

[2] ينظر أبو زكريا يحي بن زياد الفراء، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، محمد على نجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة ج1 ص59. أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، تفسير عبد الرزاق، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى1419ه ج1 ص279.

ومن أمثلة القرآن على هذا، ما جاء في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾.[1]

فالاحتمالية في مدخل الآية وهي على دلالتين نفي وإثبات، إثبات لرؤية السماوات ونفي لرؤية العمد. فكلمة "تروها" قد تكون دالة على السماوات، حيث أن الله سبحانه وتعالى رفعها ونحن نراها، وقد تكون دالة على الأعمدة التي نفى وجودها ورؤيتها. فالضمير "ها" في "تروها" هو مصدر الاحتمال، وهو تقريبا ما ذهب إليه أغلب المفسّرين[2] على قراءتين فتَفْسِيرُ ينسب إلى الْحَسَنِ رأى فِيهَا تَقْدِيما؛ أي على قراءة "رَفَعَ السَّمَوَاتِ تَرَوْنَهَا بِغَيْرِ عمدٍ"؛ على شكل استئناف للاستشهاد برؤيتهم السماوات كذلك، كالقول: أنا بلا سيف ولا رمح تراني. وَتَفْسِيرِ ينسب إلى ابْنُ عَبَّاسٍ "لَهَا عمدٌ، وَلَكِنْ لَا تَرَوْنَهَا؛ أي صفة لـ(عمد) جيء بها إبهاما لأن لها عمدا غير مرئية وهنالك من رأى فيها نفي للعمد أصلا ولرؤيتها.

التعليق أو الوقف:

توجد عبارات يظهر فيها الاحتمال بسبب الوقف عند موضع معين منها في عملية القراءة ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ

[1] سورة الرعد 2.

[2] ينظر جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي بيروت1407 هـ ج3 ص492. وينظرأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، تفسير القرآن العزيز، تحقيق أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة القاهرة مصر، الطبعة الأولى1423هـ/2002م ج2 ص344. وينظر أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة1417هـ/1997م ج4 ص292. وينظر محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1418هـ ج6 ص 255.

غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.[1] فالاحتمال في دلالة هذه الآية يتعلّق بفعل "ختم" ولفظ "الغشاوة" وموضع الوقف ثمّ الاستئناف. كما أنّ كلمة "غشاوة" تقرأ بالرّفع وتقرأ بالنصب. فإذا كانت بالنصب فهي إمّا منصوبة على الفعل "ختم" وهو ما لا يقبله بعض المفسّرين، كون الختم لا يكون على العينين. وإمّا منصوبة على فعل محذوف قد يكون "جعل"؛ أي (جعل على أبصارهم غشاوةً). وتقرأ بالرفع على الإخبار؛ أي (غشاوةٌ موجودة على أبصارهم).[2] فدور الوقف وبعد الاستئناف مهمّ جدّا لتحديد الدلالة في هذه الآية. فالاحتمال الأوّل هو في القراءة المستمرّة دون وقف إلى نهاية الآية؛ أي (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) فيصبح المعنى وكأنّه معتمد على تأخير الغشاوة؛ أي ختم بالغشاوة على القلوب والأسماع والأبصار. ثم تأتي احتمالات الوقف، فالحالة الأولى عندما تُقرأ (ختم الله على قلوبهم) فوقف بعده (وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) فيكون الختم على القلوب، وتكون الغشاوة على السمع والأبصار. أمّا الحالة الثانية فهي التي يكون الوقف فيها عند "سمعهم"؛ (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) فوقف بعده (وعلى أبصارهم غشاوة)، فيكون بذلك الختم على القلوب والسمع، وتكون الغشاوة على الأبصار. وهو ما ذهب إليه أغلب المفسّرين[3] استنادا إلى ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ

---

[1] سورة البقرة7.

[2] ينظر الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله، الحجة في القراءات السبع، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق بيروت الطبعة الرابعة1401ه ص62.

[3] ينظر أبو زكريا يحي بن زياد الفراء، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد على نجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة مصر ج1 ص13. وينظر محمد بن عمر الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت ج2 ص296. وينظر محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت 1420ه، ج1 ص84.

اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.[1] **حيث يظهر جليّا فعل الختم على السمع والقلب مع تقديم السمع على القلب عكس الآية السابقة، والغشاوة على البصر.**

مثال آخر من أمثلة القرآن الكريم في هذا الباب، قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.[2] **فالكلام في هذه الآية متعلّق بالأرض المقدّسة والتي حرّمها الله على بني إسرائيل. وبالرّجوع إلى الآية التي بين أيدينا وكيفية إعمال الوقف فيها لتحديد الدّلالة فتظهر معه الاحتمالات في المعنى. فإذا قرأت الآية بالوقف عند (قال فإنّها محرّمة عليهم أربعين سنة) يكون تحريم الأرض المقدّسة أربعين سنة. وإذا قرأت بالوقف عند (قال فإنّها محرمة عليهم) فوقف وبعده استئناف (أربعين سنة يتيهون في الأرض) يصبح المعنى بأنّ الأرض المقدّسة محرّمة عليهم إلى الأبد والأربعين سنة هي مدّة تيههم في الأرض، وليست مدّة التحريم. وقد تكون عبارة (أربعين سنة) وهي الجزء المفتاح من هذه الآية، مؤديّة لدورين الأول هو تحريمها عليهم أربعين سنة وتيههم أربعين سنة كذلك. والأمر نفسه مقارنة مع مدخل سورة البقرة في قوله تعالى:** ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.[3] **حيث يمكن قراءة الآية على الشكل الآتي (ذلك الكتاب لا ريب فيه وفيه هدى للمتقين). وهذا الأسلوب معهود في اللّسان العربي الذي خاطب به الله سبحانه وتعالى عباده، فنجده في الشعر العربي مثلا عند لبيد بن ربيعة في افتتاح معلّقته بقوله:**

---

[1] سورة الجاثية23.
[2] سورة المائدة26.
[3] سورة البقرة2.

عفت الديار محلها فمقامها***بمنى تأبد غولها فرجامها.[1]

فالكلمة المفتاح الرابطة بين جزئي البيت الشعري هي "مِنىً" المكان الذي زالت منه آثار الديار التي كانوا يحلّون ويقيمون بها وهو المكان نفسه الذي تأبّد فيه جبلا الغول والرّجام.

ومن القرآن الكريم كذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾.[2] فهذه الآية هي من قصص القرآن الكريم وحسب السياق العام للسورة فهي تتعلّق بسيّدنا موسى وأخيه هارون عليهما السلام. والكلمة المفتاح في هذه الآية هي " بِآيَاتِنَا" حيث عندها احتمالية الوقف على موضعين، الأوّل قبلها؛ أي (فلا يصلون إليكما بآياتنا) فوقف بعده استئناف (أنتما ومن اتبعكما الغالبون). فتكون الآيات هي المانع للوصول إليهما. أمّا في الحالة الثانية فيكون الوقف قبل الكلمة؛ أي (بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون) فتكون الآيات سببا في الغلبة. وذلك ما ذهب إليه المفسّرون.[3] وتقريبا من خلال تتبع مجمل الآيات التي جاء فيها الوقف على هذا النحو يُلاحظ بأنّ الكلمة المفتاح التي يتحدّد عندها الوقف لها دوران حيث تنتهي إليها الجملة الأولى، وتستأنف منها الجملة الثانية.

[1] لَبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري، ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق حمدو طمّاس، دار المعرفة، الطبعة الأولى1425هـ/2004م ص107.
[2] سورة القصص35.

[3] محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب دمشق بيروت، الطبعة الأولى1414هـ ج4 ص200.

المحاضرة الثالثة

الدلالة الظاهرة والباطنة:

ويقصد بالدّلالة الظاهرة المعنى الذي يقدّمه ظاهر اللّفظ ويفهم به، وبالدّلالة الباطنة المعنى الذي يستقصى من فحوى الكلام والتأمّل العميق ولا يفهم من ظاهر العبارة. وقد تمّت الإشارة إلى ذلك من قبل في كتب علماء الأمّة السابقين عند ابن القيّم في نونيته[1] التي يقول فيها:

ومقدرات الذّهْن لـــم يضمن***لنا تبيانها بالنَّصِّ والْقُـــرآن
وهي الّتي فيها اعتراك الرَّأْي من*** تَحت العجاج وجولة الأذهان
لَكن هُنَا أَمْرَان لَـــو تمّا لمـــا***احتجنا إلَيْه فحبذا الْأَمْـــرَان
جمع النُّصوص وفهـم معنَاهَا المرا***د بلفظها والفهـــم مرتبتان
احداهما مدْلُـول ذَاك اللّفْظ وض***عا أَو لُزومـــا ثمَّ هَذَا الثَّاني
فيه تفاوتت الفهـــوم تفَاوتا***لم ينْضَبط أبدا لَهُ طـــرفان
فالشيء يلْزمه لَـوازم جمـــــة***عنْد الْخَبير به وَذي الْعـــرفَان
فبقـــدر ذَاك الْخَبر يُحصى من لو***ازمه وهَذَا واضَـــح التّبْيَان

[1] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، متن القصيدة النونية، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، الطبعة الثانية1417ه ص6. أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثالثة1406 ج2 ص386.

وبالرّغم من أنّ ابن القيّم قد كتب هذه القصيدة النونيّة لشرح سبل فهم نصوص القرآن وباقي النّصوص التّي تغذّي فكر المسلمين ويقوم عليها دليلهم. فإنّه أشار بشكل واضح إلى مقدرات الذّهن البشريّ في فهم تلك النصوص وتمحيصها بعد جمعها لفهم معناها، والفهم بالنسبة إليه مرتبتان من خلال مدلول اللّفظ الظّاهر الذي وضع لأجله ثمّ تفاوت الفهوم حيث لا يكاد يتفق على معنى واحد وهو ما يعرف بالدّلالة الباطنة.

فالتعبير تكون له دلالة ظاهرة للوهلة الأولى إن لم يقصد به شيء آخر، وهنا تتدخّل طبيعة العلاقة بين المرسل والمتلقّي بمصطلحات اللّسانيات الحديثة، تلك العلاقة التي يضبطها فعل التواطؤ والتواضع والتصالح بين المتشاركين في الخطاب، فمثلا لو قال أحدهم (صباح الخير) فالدّلالة الظّاهرة هي التحيّة المعتادة المتعارف والمتواطئ عليها، وقد تكون ردّة فعل المتلقي أو المشاركين في عملية التخاطب بالردّ على التحيّة بشكله الطبيعي ومثلما هو متعارف عليه. لكن لو قصد المتكلّم شيئا آخر بتلك التحيّة وحمّلها دلالات أخرى قد تخلق نوعًا من الشكّ في الغرض البلاغي لتلك العبارة عند بعض المتلقّين فتلك هي الدّلالة الباطنة أي ما يبطن في ظاهر كلامه. ولتلك الدّلالة أسبابها ومنها المجاز، الكناية والملاحن وما شابهها فمثلا بالرجوع إلى قول امرئ القيس في معلّقته[1] بوصفه لطول اليل:

فقلت له لما تمطى بصلبه***وأردف أعجازا وناء بكلكل.

[1] امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، ديوان امرئ القيس، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية1425هـ/2004م ص48.

فقد رأى علماء اللغة[1] بأنّ الأمر في هذا البيت الشعري يدخل في دائرة الأمثال التي تضرب فيراد بها زيادة بيان طول الليل بالاستقصاء في الوصف. فاللّيل لَيْسَ له صُلْبٌ، وَلا عَجُزٌ، وَلا كَلْكَلٌ، فعمد الشاعر إلى تقطيعه تَقْطِيعَ ذِي أَعْضَاءٍ مِنَ الْحَيَوَانِ، وَقَدْ تَمَطَّى عِنْدَ إِقْبَالِهِ وَامْتَدَّ بَعْدُ بِدِوَامِ رُكُودِهِ ، وَطُولِ سَاعَاتِهِ ، وَفي هذا الباب من تشبيه شيء بشيء، فَقَدْ تُسْتَعْمَلُ الرِّجْلُ أَيْضًا فِي الْقَصْدِ لِلشَّيْءِ وَالطَّلَبِ لَهُ عَلَى سَبِيلِ جِدٍّ وَإِلحَاحٍ، يُقَالُ: قَامَ فُلانٌ فِي هَذَا الأَمْرِ عَلَى رِجْلٍ، وَقَامَ عَلَى سَاقٍ إِذَا جَدَّ فِي الطَّلَبِ، وَبَالَغَ فِي السَّعْيِ وَهَذَا الْبَابُ كَثِيرُ التَّصَرُّفِ.

وقد أشار الجاحظ إلى ذلك في كتابه دلائل الإعجاز[2]، عند حديثه عن الكناية والاستعارة والتمثيل حيث أكّد على دور السّامع أو المتلقّي في صنع تلك الدلالة الباطنة، حيث رأى بأنّ الكلام يأتي على ضربين ضربٌ أنتَ تَصِلُ منه إلى الغَرضِ بدلالةِ اللفظِ وحدَه، وذلك إذا قصَدْتَ أن تُخْبِر عن "زيدٍ" مثلاً بالخروج على الحقيقة، فقلتَ: "خرجَ زيدٌ"، وبالانطلاقِ عن "عمرو" فقلتَ: "عمروٌ منطلِقٌ"، وعلى هذا القياسِ. وضربٌ آخرُ أنتَ لا تصِلُ منه إلى الغرضِ بدلالة اللفظِ وحدَه، ولكنْ يدلُّكَ اللفظُ على معناه الذي يَقْتضيه موضوعُهُ في اللغةِ، ثُمَّ تَجدُ لذلك المعنى دَلالةً ثانيةً تَصِلُ بها إلى الغَرَض. ومَدارُ هذا الأمر على "الكناية" و"الاستعارة" و"التمثيل". أوَلا ترى أنكَ إذا قلْتَ: "هو كثيرُ رمادِ القِدْر"، أو قلتَ: "طويلُ النجادِ"، أو قلتَ في المرأةِ: "نَؤُومُ الضحى"، فإنَّكَ في جميع ذلك لا تُفيدُ غرضَكَ الذي تعني من مجرد اللّفظ، ولكن يدلّ اللّفظُ على معناه الذي يُوجِبُهُ ظاهرُهُ، ثُمّ يَعْقِلُ السامعُ من ذلك المعنى، على سبيلِ الاستدلالِ، معنًى ثانياً

[1] ينظر أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، الأسماء والصفات، مكتبة السوادي جدة، الطبعة الأولى ج2 ص194.

[2] ينظر أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني الدار، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة، الطبعة الثالثة 1413هـ /1992م ص262.

هو غَرَضُك، كمعرفتِكَ مِنْ "كثيرِ رمادِ القدرِ" أنه مضيافٌ، ومن "طويلِ النِّجاد" أنه طويلُ القامة، ومن "نؤوم الضحى" في المرأة أنها مُتْرفَةٌ مخدومةٌ، لها مَنْ يَكفيها أمْرَها.

وكذا إذا قال: "رأيتُ أسداً"، ودلَّكَ الحالُ على أنه لم يُرِدِ السبعَ، علمتَ أنه أرادَ التشبيهَ، إلا أنَّه بالغَ فجعلَ الذي رآه بحيث لا يتميِّزُ عن الأسد في شجاعته.

المحاضرة الرّابعة

مواضع الدلالة الباطنة[1]:

المجاز بأنواعه:

جاء تقسيم علماء اللّغة للكلام على حقيقة ومجاز. فالحقيقة هي أن تستعمل الكلمة أو العبارة على ما وضعت له في الاصطلاح الأوّل من التخاطب أو الاستعمال الأوّل العادي. وهي الأصل المتعامل به في حياتنا اليومية أو لغة خطابنا اليومي، ومن أمثلتها في القرآن الكريم الآيات النّاطقة ظَوَاهِرُهَا بِوُجُودِ اللّه تَعَالَى وَتَوْحِيدِهِ وَتَنْزِيهِهِ وَالدّاعِيَةُ إِلَى أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾.[2] **وقوله**: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾.[3] ﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.[4] ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ

---

[1] فيما يخص الدلالة الباطنة بملامحها من مجاز وكناية وغيرها سيُعتمد بشكل كبير على ما جاء عند جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعدالدين بن عمر القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم بيروت الطبعة الرابعة 1998م ص250. بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى1376هـ/1957م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه ج2 ص254. عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1394هـ/ 1974م ج3 ص120.

[2] سورة الحشر 22.

[3] سورة النمل 60.

[4] سورة النمل 61.

السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ .[1] ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ .[2] ﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ .[3] **وقوله تعالى**: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ .[4] ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ .[5] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ .[6] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ .[7]

أمّا المجاز فقد اختلف في سبب تسميته بهذا الاسم، فهنالك من يرى بأنّه من جاز المكان يجوزه إذا تعدّاه أي تعدّت موضعها الأصليّ. وهنالك من يرى بأنّه من قولهم جعلت كذا مجازا إلى حاجتي أي طريقا له على أن معنى جاز المكان سلكه فإن المجاز طريق إلى تصور معناه. وقد تحتمل بأنّ تكون من الجواز؛ بمعنى يجوز لك أن تحمّل ذلك اللّفظ ذلك المعنى.

وقد وقع الجدل حول وُقُوعِهِ فِي الْقُرْآنِ فأنْكَرَهُ جَمَاعَةٌ وَشُبْهَتُهُمْ أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ لَا يَعْدِلُ عَنِ الْحَقِيقَةِ إِلَى الْمَجَازِ إِلَّا إِذَا ضَاقَتْ بِهِ الْحَقِيقَةُ فَيلجأ إلى الاستعارة وَهُوَ أمر مُسْتَحِيلٌ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وأقرّه آخرون وحجّتهم أنّه لَوْ وَجَبَ خُلُوُّ الْقُرْآنِ مِنَ الْمَجَازِ لَوَجَبَ خُلُوُّهُ مِنَ التَّوْكِيدِ وَالْحَذْفِ وَتَثْنِيَةِ الْقَصَصِ وَغَيْرِهِ وَلَوْ سَقَطَ الْمَجَازُ مِنَ الْقُرْآنِ سَقَطَ شَطْرُ الْحُسْنِ.

[1] سورة النمل 62.
[2] سورة النمل 63.
[3] سورة النمل 64.
[4] سورة الواقعة 58.
[5] سورة الواقعة 63.
[6] سورة الواقعة 68.
[7] سورة الواقعة 71.

والمقصود بالمجاز عند علماء اللّغة، أن تستعمل الكلمة أو العبارة في غير معناها ببداية الوضع والاستعمال. كلفظة الأسد في الرّجل الشجاع. وحقيقتها أن تستعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها وحكمه في ذلك إظهار الخفيّ وإيضاح الظّاهر الذي ليس بجليّ أو بحصول المبالغة أو للمجموع.

فمثال إظهار الخفي، قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[1]، فإن حقيقته أنه في أصل الكتاب فاستعير لفظ [الأمّ] للأصل لأنّ الأولاد تنشأ من الأمّ كما تنشأ الفروع من الأصول. وحكمة ذلك تمثيل ما ليس بمرئي حتى يصير مرئيًّا فينتقل السّامع من حدّ السّماع إلى حدّ العيان وذلك أبلغ في البيان.

ومثال إيضاح ما ليس بجلي ليصير جليا، قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.[2] لأنّ المراد أمر الولد بالتذلّل لوالديه رحمة فاستعير للولد أولا جانب ثمّ للجانب جناح وتقدير الاستعارة القريبة: [واخفض لهما جانب الذل] أي اخفض جانبك ذلاّ. وحكمة الاستعارة في هذا جعل ما ليس بمرئي مرئيا لأجل حسن البيان ولما كان المراد خفض جانب الولد للوالدين بحيث لا يبقى الولد من الذل لهما والاستكانة مركبا احتيج من الاستعارة إلى ما هو أبلغ من الأولى فاستعير الجناح لما فيه من المعاني التي لا تحصل من خفض الجناح لأنّ من ميل جانبه إلى جهة السفل أدنى ميل صدق عليه أنه خفض جانبه والمراد خفض يلصق الجنب بالإبط ولا يحصل ذلك إلا بخفض الجناح كالطائر. فالجناح للذل مناسب لأنّ الطائر إذا تعب بسط جناحه وألقى نفسه إلى الأرض. وللإنسان أيضا جناح فإنّ يديه جناحاه وإذا خضع واستكان يطأطئ

[1] سورة الزخرف4.
[2] سورة الإسراء 24.

من رأسه وخفض من بين يديه فحسن عند ذلك جعل الجناح للذلّ وصار شبها مناسبا فهذا بحسب علماء اللّغة قسم من أقسام المجاز لاستعمال اللّفظ في غير ما وضع له. وقد استشهد عديد المفسّرين بهذه الآية التي يرون فيها قوّة ببيانها وجماليانها فخفض الجناح عندهم هو مجاز لأنّ الذلّ ليس له جناح ولا يوصف بذلك ولكنه أراد المبالغة في التذلّل والتواضع لهما. وقد يأتي على وجهين، الْأَوَّلُ: أَنَّ الطَّائِرَ إِذَا أَرَادَ ضَمَّ فِرَاخَهُ إِلَيْهِ لِلتَّرْبِيَةِ خَفَضَ لَهَا جَنَاحَهُ، فَلِهَذَا صَارَ خَفْضُ الْجَنَاحِ كِنَايَةً عَنْ حُسْنِ التَّدْبِيرِ، فَكَأَنَّهُ أمرٌ للولد للتكفّل بوَالِدَيْكَ بِأَنْ يضُمَّهُمَا إِلَيه كَمَا فَعَلا ذَلِكَ بِه فِي صِغَرِه وهي تشبه حالة إضافة حاتم إلى الجود في القول حاتم الجود والأصل بذلك الجناح الذّليل. وَالثَّانِي سلوك سبيل الاستعارة وكأنّ للذلّ جناحا ثمّ أثبت لذلك الجناح خفضا فالطَّائِرَ إِذَا أَرَادَ الطَّيَرَانَ وَالِارْتِفَاعَ نَشَرَ جَنَاحَهُ، وَإِذَا أَرَادَ النُّزُولَ خَفَضَ جَنَاحَهُ، فَصَارَ خَفْضُ الْجَنَاحِ تمثيل للتَّوَاضُعِ وَتَرْكِ الِارْتِفَاعِ وضد ذلك رفع الجناح تمثيلاً للجفاء والشدة.[1]

وقد ذهب اتجاه تفسيريّ آخر[2] إلى أنّ الْجَنَاحَ هُنَا مُسْتَعْمَلٌ فِي حَقِيقَتِهِ ولا مجاز فيه؛ لأنّ الْجَنَاحَ يُطْلَقُ لُغَةً حَقِيقَةً عَلَى يَدِ الإنْسَانِ وَعَضُدِهِ وَإِبطِه. وَالْخَفْضُ مُسْتَعْمَلٌ فِي

[1] ينظر أحمد بن علي المكني بأبي بكر الرازي الجصاص الحنفي، أحكام القرآن للجصاص، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، دار احياء التراث العربي بيروت1405هـ ج5 ص20. محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب دمشق وبيروت، الطبعة الأولى1414ه ج3 ص260. محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى1418هـ ج6ص454. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى1420هـ/2000م ج13 ص66. أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى1419هـ/1998م ج12 ص259. شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق على عبد الباري عطية دار الكتب العلمية بيروت1415هـ ج5 ص88.

[2] محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان1415 هـ/1995م ج6 ص101.

مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيِّ، الَّذِي هُوَ ضِدُّ الرَّفْعِ؛ فهو من شاكلة إضافة الموصوف إلى صفته فمُرِيدُ الْبَطْشِ يَرْفَعُ جَنَاحَيْهِ، وَمُظْهِرُ الذُّلِّ وَالتَّوَاضُعِ يَخْفِضُ جَنَاحَيْهِ، وفي ذلك كِنَايَةٌ عَنْ لِينِ الْجَانِبِ لَهُمَا، وَالتَّوَاضُعِ لَهُمَا؛ والأمر برأيهم مألوف في خطاب العرب وفي القرآن الكريم مثلما هو الحال في قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .[1] فهذا بحسبهم أمر للنبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتَّوَاضُعِ وَلِينِ الْجَانِبِ.

وَنَظِيرُهُ فِي الْقُرْآنِ إِضَافَةُ السّوء إلى المطر فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ .[2] والمقصود بمطر السوء هنا بحسب المشتغلين بالتفسير الحجارة التي أهلك الله بها أعظم قرى قوم لوط عليه السلام وهذا تشبيه للحجارة التي كانت مقصودة بالمطر، لأنها نزلت عليهم حاطمة منهمرة مؤلمة سيئة في عقباها.[3] وإضافة الهون إلى العذاب في ثلاث آيات من القرآن الكريم في قوله تعالى من سورة الأنعام: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ .[4] ومن سورة فصّلت: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ

[1] سورة الشعراء 215.
[2] سورة الفرقان40.
[3] ينظر شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت 1415ه ج10 ص22. وينظر محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي ص5283.
[4] سورة الأنعام 93

فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .[1] **ومن سورة الأحقاف**: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ .[2]

[1] سورة فصّلت17.
[2] سورة الأحقاف20.

المحاضرة الخامسة

والمجاز ضربان مرسل واستعارة لأنّ العلاقة المصحّحة إن كانت تشبيه معناه بما هو موضوع له فهو استعارة وإلا فهو مرسل وكثيرا ما تطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبه به في المشبه فيسمى المشبه به مستعارا منه والمشبه مستعارا له واللفظ مستعارا وعلى الأول لا يشتق منه لكونه اسما للفظ لا للحدث.

الضرب الأول المرسل وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه أي يبتعد عامل التشبيه فيها، كاليد إذا استعملت في النعمة لأنّ من شأنها أن تصدر عن الجارحة ومنها تصل إلى المقصود بها ويشترط أن يكون في الكلام إشارة إلى المولى لها فلا يقال اتسعت اليد في البلد أو اقتنيت يدا كما يقال اتسعت النعمة في البلد أو اقتنيت نعمة وإنما يقال جلت يده عندي وكثرت أياديه لدي ونحو ذلك.

ونظير هذا القول في صفة راعي الإبل إن له عليها أصبعا أرادوا أن يقولوا له عليها أثر حذق فدلوا عليه بالإصبع لأنّه ما من حذق في عمل يد إلا وهو مستقاد من حسن تصريف الأصابع واللطف في رفعها ووضعها كما في الخط والنقش وعلى ذلك قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾.[1] أي نجعلها كخف البعير فلا يتمكن من الأعمال اللطيفة فأرادوا بالإصبع الأثر الحسن حيث يقصد الإشارة إلى حذق في الصّنعة لا مطلقا حتى يقال رأيت أصابع الدّار وله أصبع حسنة وأصبع قبيحة على معنى له أثر حسن وأثر قبيح ونحو ذلك وهو ما يشبه القول في مجال الفن والأدب له لمسته.

وينظر إلى هذا القول ضربته سوطا لأنّهم عبّروا عن الضربة الواقعة بالسّوط باسم السّوط فجعلوا أثر السّوط سوطا وتفسيرهم له بقولهم المعنى ضربته ضربة

[1] سورة القيامة 4.

بالسّوط بيان لما كان الكلام عليه في أصله. ونظيره استعمال اليد في تعابير مختلفة منها ما جاء في قول النبي **عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَزْوَاجِهِ: «أَسْرَعُكُنَّ لُحُوقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا» قَالَتْ عَائِشَةُ فَكُنَّا إِذَا اجْتَمَعْنَا فِي بَيْتِ إِحْدَانَا بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَمُدُّ أَيْدِيَنَا فِي الْجِدَارِ نَتَطَاوَلُ، فَلَمْ نَزَلْ نَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى تُوُفِّيَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتِ امْرَأَةً قَصِيرَةً وَلَمْ تَكُنْ أَطْوَلَنَا، فَعَرَفْنَا حِينَئِذٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا أَرَادَ بِطُولِ الْيَدِ الصَّدَقَةَ. وَكَانَتْ زَيْنَبُ امْرَأَةً صَنَاعَةَ الْيَدِ فَكَانَتْ تَدْبُغُ وَتَخْرُزُ وَتَصَدَّقُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»**.[1] وقوله أطولكن من باب الاستعارة أو من باب المجاز والمعنى بسط اليد بالعطاء، أو من الطّول بمعنى الفضل يقال لفلان على فلان طول أي فضل فاليد على هذين الوجهين بمعنى النّعمة ويحتمل أن يريد أطولكن يدا بالعطاء أي أمدّكن فحذف قوله بالعطاء للعلم به.

وتستعمل اليد أيضا في القدرة فأكثر سلطانها يظهر في اليد وبها يكون البطش والضرب والقطع والأخذ والدّفع والوضع والرّفع وغير ذلك من الأفعال التي تنبؤ عن وجوه القدرة ومكانها وأما اليد في قول الرّسول عليه الصلاة والسلام «**الْمُؤْمِنُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ**».[2] فهو استعارة والمعنى أنّ مثلهم مع كثرتهم في

---

[1] أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، المستدرك على الصحيحين، الحديث رقم 6776 باب "ذكر زينب بنت جحش رضي الله عنها"، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى1411ه/1990م ج4ص26.

[2] أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، المستدرك على الصحيحين، الحديث رقم 2623 باب "والأصل من كتاب الله عزّ وجلّ" ج2 ص153.

وجوب الاتفاق بينهم مثل اليد الواحدة فكما لا يتصوّر أن تخذل بعض أجزاء اليد بعضا وأن تختلف فيها الجهة في التصرّف كذلك سبيل المؤمنين في تعاضدهم على المشركين لأنّ كلمة التوحيد جامعة لهم. وكالسّماء في الغيث كقوله أصابتنا السّماء لكونه من جهة المظلّة وفي ذلك دلالة على إطلاق اسم المنطلق عليه فمنطلق ومخرج الغيث هو السّماء. وكالإكاف في القول **[يأكلن كل ليلة إكافا...]** أي علفا بثمن الإكاف فكأنّه أطلق اسم الشيء على بدله ومن أمثلته كذلك القول: أكل فلان الدّم إذا أكل الديّة التي هي بدل منه.[1]

وهذا الضرب من المجاز يقع على وجوه كثيرة منها **تسمية الشيء باسم جزئه** كالعين في المخلوقات فصارت كأنّها الشّخص كلّه كالقول أحميك بأعيني. وعليه قوله تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.[2] فالقيام هو جزء من الصّلاة وبذلك دلّ على الكلّ والمعنى بذلك هو صلّ. وعلى هذا المثال قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا **وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ** ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾.[3] ﴿**لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا** ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾.[4] بمعنى لا تصلّ على قبره وقول النبي **[مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ]**.[5] أي من شهد رمضان بقيام لياليه مصلّيا. وهو

[1] ينظر أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج1 ص215. وينظر نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى1416هـ ج1 ص49.

[2] سورة المزمّل 2.

[3] سورة التوبة 84.

[4] سورة التوبة 108.

[5] محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله، الجامع الصحيح حسب ترقيم فتح الباري، باب فضل من قام رمضان، دار الشعب القاهرة، الطبعة الأولى1407/1987. ج3 ص58. أبو

بمثل التعدّي من الفعل إلى الصّلاة. ففعل الصّلاة يسبقه مبدئيا فعل القيام والذي عُبِّرَ عنه في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.[1]

وقد يأتي المثال عكس السّابق أي **دلالة الكلّ على الجزء** ومثال ذلك استعمال الأصابع للدّلالة على الأنامل في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾.[2] **وقوله تعالى**: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾.[3] **أي أناملهم التي هي في نهاية**

الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، باب الترغيب في قيام رمضان، دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة بيروت، ج2 ص177. أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب فضل من قام رمضان، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة بيروت1379، ج4 ص251.

[1] سورة المائدة 6.

[2] سورة البقرة 19.

[3] سورة نوح 7.

أصابعهم وجزء منها. وعلى منواله قولهم في التعابير الفقهية[1] "قَطْعُ السّارق" وإنّما قطعت يده بأمره تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.[2]

ومنه تسمية المسبّب باسم السّبب كالقول (رعينا الغيث) أي النبات الذي سببه الغيث وعليه قوله عز وجل: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.[3] سُمّي جزاء الاعتداء في القصاص لأنّه مسبّب عن الاعتداء وهو من باب تجانس الألفاظ من قبيل المزاوجة مثلما يسمّيه المشتغلون بعلوم القرآن وبلاغته.[4] وهو من قبيل قوله تعالى ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.[5] فيمكن القول بأنّ الآيتين شارحتان لبعضهما البعض.

وعليه كذلك قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا***فنجهل فوق جهل الجاهلينا.[6]

---

[1] يمكن الاطلاع على تفصيل مسألة قطع السارق، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، المغني، مكتبة القاهرة 1388هـ/1968م أشار إلى ذلك في كتاب الحدود باب القطع في السرقة ج9 ص103.

[2] سورة المائدة 38.

[3] سورة البقرة 194.

[4] مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة 1416هـ /1996م ج ص 70.

[5] سورة الشورى 40.

[6] حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، أبو عبد الله، شرح المعلقات السبع (البيت 53 من معلّقة عمرو بن كلثوم)، دار احياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1423ه/2002م ص226.

فالجهل الأول حقيقة والثاني مجاز عبر به عن مكافأة الجهل بالجهل، أي لا يسفهنّ أحد علينا فنسفه عليهم فوق سفههم، أي نجازيهم بسفههم جزاء يُرْبِي عليه، فسمِّيَ جزاء الجهل جهلاً لازدواج الكلام وحسن تجانس اللفظ.

ومنها تسمية السَّبَبِ باسم المسَبِّبِ كالقول أمطرت السّماء نباتا. وعليه القول كما تدين تدان أي كما تفعل تجازى. وعلى مثله قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾.[1] فقد ذهبت بعض كتب التفسير إلى كون المعنى يختصّ بنوح عليه السّلام وبنيه الثّلاثة سَام وحَام ويَافث، فمِنْهُم ذرىء الْخلق بعدمَا غرِقَ قومُ نوح والمعنى آباءهم، وقد سُمِّيَ الآباء ذرية، لأنّه ذرأ الأبناء منهم على طريق تسمية السبب باسم المسبّب.[2]

وكذا تفسير إنزال أزواج الأنعام في قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾.[3] بإنزال الماء على وجه الأرض لأنها لا تتكوّن ولا تعيش إلاّ بالنّبات والنبات لا يقوم إلاّ بالماء، وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها وهذا على سبيل التدريج. ويؤيده ما ورد أنّ كلّ ما في الأرض من السّماء ينزله الله تعالى إلى الصخرة ثم يقسّمه وقيل هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ

[1] سورة يس 41.

[2] ينظر أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، تفسير القرآن العزيز ج4 ص46. وينظر محمود بن أبي الحسن (علي) بن الحسين النيسابوريّ الغزنوي، أبو القاسم، الشهير بـ(بيان الحق)، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، تحقيق سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، جامعة أم القرى مكة المكرمة1419هـ/1998م، ج2 ص1186.

[3] سورة الزمر 6.

مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾.[1] وذهبت آراء أخرى إلى معان عدّة منها أنشأ وقضى وجعل وأعطى لكم، لأنّ قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السّماء، حيث كتب في اللّوح كل كائن يكون. وقيل خلقها في الجنة ثم أنزلها. وَقِيلَ: جَعَلَ الْخَلْقَ إِنْزَالا، لأَنَّ الْخَلْقَ إِنَّمَا يَكُونُ بِأَمْرٍ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ. فَالْمَعْنَى: خَلَقَ لَكُمْ كَذَا بِأَمْرِهِ النَّازِلِ.[2] وكذا قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾.[3] فالرزق المنزّل من السّماء في هذه الآية المقصود به بحسب المفسّرين هو المطر الذي هو سبب الأرزاق.[4]

ومن المجاز أو الاستعارة كذلك نوع آخر وهو المتمثّل في تسمية الشّيء باسم ما كان عليه أو بالأحرى باسم الحالة التي كان عليها من قبل، مثلما هو الحال في قوله تعالى: ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾.[5] والمقصود الذين كانوا يتامى[6] وإنّما سَمَّى اللهُ تعالى البالغَ يتيماً، ولا يُتْمَ بعدَ البلوغِ استصحاباً بالاسم الأوّل، فقد كان في تحديد سنّ اليتم ما نقل عن عَلِيٍّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بأنه حَفِظَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قوله «**لاَ يُتْمَ بَعْدَ احْتِلاَمٍ وَلاَ صُمَاتَ يَوْمٍ إِلَى اللَّيْلِ**».[7] ومن

---

[1] سورة الزمر 21.

[2] ينظر أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج15 ص235.

[3] سورة غافر 13.

[4] ينظر محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر-عثمان جمعة ضميرية-سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة 1417هـ/1997م، ج7 ص143.

[5] سورة النساء 2.

[6] جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1 ص464.

[7] أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، باب ما جاء متى يقطع اليتم الحديث رقم 2875، دار الكتاب العربي بيروت ج3 ص74. أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، باب البلوغ بالاحتلام الحديث رقم 11642، مؤلف الجوهر النقي: علاء

أمثلة هذا الباب ما جاء في قوله تعالى: {وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ}.[1] ولا سِحْرَ مع السُّجود.

ومنها تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه كقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.[2] فأطْلَقَ اسْمَ الْخَمْرِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَجَازًا لِأَنَّهُ إنَّمَا يُعْصَرُ الْعِنَبُ لَا الْخَمْرُ.[3] فالمعنى عصير العنب الذي يؤول خمرا.

ومن المجاز تسمية الحال باسم محله كقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾.[4] أي أهل ناديه فالنادي هو محلّ للأهل. وعلى عكس ذلك تسمية المحلّ باسم الحال نحو: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.[5] أي في الجنة التي هي محلّ للرحمة وموطن لها.

ومن المجاز كذلك تسمية الشيء باسم آلته كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.[6] أي بلغة قومه

الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة الأولى 1344هـ ج6 ص57.

[1] سورة الأعراف 120.

[2] سورة يوسف 36.

[3] أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، أحكام القرآن، تحقيق محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي بيروت1405هـ ج2 ص9.

[4] سورة العلق 17.

[5] سورة آل عمران 107.

[6] سورة إبراهيم 4.

وقوله تعالى: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾.[1] أي ذكرا جميلا وثناء حسنا وكذا غير ذلك مما بين معنى اللفظ وما هو موضوع له تعلق سوى التشبيه.

تحصيل:

نوع المجاز المرسل	مثاله
تسمية الشيء باسم جزئه	أحميك بعيني / قام رمضان
تسمية الجزء باسم الكل	جعلوا أصابعهم في آذانهم
تسمية المسبب باسم السبب	رعينا الغيث
تسمية السبب باسم المسبب	أمطرت السماء نباتا/أنزل من الأنعام ثمانية
تسمية الشيء باسم ما كان عليه	آتوا اليتامى أموالهم
تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه	أراني أعصر خمرا
تسمية الحال باسم محله	فليدع ناديه
تسمية الشيء باسم آلته	بلسان قومه

[1] سورة الشعراء 84.

المحاضرة السّادسة

الضرب الثاني من المجاز الاستعارة وهي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له فعامل المشابهة موجود في هذا النوع من المجاز وقد تقيّد بالتحقيقية لتحقق معناها حسّا أو عقلا أي التي تتناول أمرا معلوما يمكن أن ينص عليه ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية فيقال إن اللّفظ نقل من مسمّاه الأصلي فجعل اسما له على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه أما الحسي فكقولك **رأيت أسدا** وأنت تريد رجلا شجاعا، فهنالك من يرى[1] بأنّ فائدة هذا الكلام لا تتمّ إلاّ بمعرفة القرينة فمتى ظهرت وعرفها المتكلّم والسّامع حسن تجوّزه، وهنا يتوافق المحدّث والمتكلّم فيكون التشبيه أبلغ وأفصح، فإذا وصفت رجلاً بأنّه أسد، جاز أن تنسب إليه جميع صفات الأسد فوصف الرجل بصفات الأسد من اللّبِد وهو شعره وطُول الأظفار، وزِدْ على ذلك على محلّه وأشباله، ما ازداد المجاز إلاّ حُسناً، ولم يكن ذلك مما صَعُبَ تأويله في لغة العرب أبداً. كما في قول زهير بن أبي سلمى:

لدى أسد شاكي السلاح مقذف***له لبد أظفاره لم تقلم.[2]

ومن لطيف هذا الضرب ما يقع التشبيه فيه في الحركات كقول أبي دلامة[1] يصف بغلته حين انزلقت:

---

[1] ينظر ابن الوزير محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله عز الدين، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، الطبعة الثالثة 1415هـ/1994م ج8 ص309. وينظر ابن الوزير محمد بن إبراهيم ، الرّوض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم (وعليه حواشٍ لجماعة من العلماء منهم الأمير الصّنعاني)، تقديم فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، اعتنى به علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ج2ص95.

[2] حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني أبو عبد الله، شرح المعلقات السبع، البيت 37 من معلّقة زهير بن أبي سلمى دار احياء التراث العربي، الطبعة الأولى1423هـ/2002م ص146.

أرى الشهباء تعجن إذ غدونا***برجليها وتخبز باليدين.

فقد شبّه حركة انزلاق رجليها حيث لم تثبتا على موضع تعتمد بهما عليه وهَوَتَا ذاهبتين إلى الأمام نحو يديها بحركة يدي العاجن فإنهما لا تثبتان في موضع بل تزلاّن إلى قدام لرخاوة العجين وشبّه حركة يديها بحركة يدي الخابز فإنه يثني يده نحو بطنه ويحدث فيها ضربا من التقويس كما تجد في يد الدّابة إذا اضطربت في سيرها ولم تقوَ على ضبط يديها وأن ترمي بها إلى قدّام وأن تشدّ اعتمادها حتى تثبت في الموضع الذي تقع عليه فلا تزول عنه ولا تثني.

وأمّا العقليّ فكالقول **أبديت نورا** وأنت تريد حجة، فإنّ الحجّة ممّا يدرك بالعقل من غير وساطة حسّ إذ المفهوم من الألفاظ هو الذي ينور القلب ويكشف عن الحق لا الألفاظ أنفسها وعليه قوله عز وجلّ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.[2] فمعناه عند بعض المفسّرين الدّين الحق.[3]

وأما قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.[4] فالصورة المقصودة بالمجاز هنا هي تركيب الذّوق على اللّباس على الجوع والخوف، وهنا يجتمع البيان في أقصى درجاته مع الجمال في أبهى

[1] هو أبو دلامة زند (زيد) بن الجون توفي 169هـ؛ كان صاحب نوادر وحكايات وأدب ونظم ودعابة نشأ بالكوفة. أدرك آخر بني أمية ولم يكن له نباهة في أيامهم، ونبغ في أيام بني العباس، فكانوا يقدمونه ويفضلونه ويستطيبون نوادر ويستلطفونه ويغدقون عليه صلاتهم وله في بعضهم مدائح، كان متهما بالزندقة. ينظر خيرالدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، كتاب الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر 2002م ج3 ص50. وينظر أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت 1900 ج2 ص320.

[2] سورة الفاتحة 6.

[3] أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي محيي السنة، معالم التنزيل ج1 ص54.

[4] سورة النحل 112.

طلعاته، وحسب صاحب الكشّاف.[1] فالإذاقة واللّباس استعارتان، إذاقة مستعارة موقعة على اللّباس المستعار، فأمّا الإذاقة برأيه فقد جرت مجرى الحقيقة لشيوعها استعمالا في البلايا والشّدائد وما يمسّ النّاس منها، كالقول ذاق فلان البؤس والضرّ، وأذاقه العذاب شبّه ما يدرك من أثر الضرّر والألم بما يدرك من طعم المرّ والبشع. وأمّا اللّباس فقد شبّه به لاشتماله على اللابس أي ما غشى الإنسان والتبس به من بعض الحوادث. وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف، فلأنه لما وقع عبارة عمّا يغشى منهما ويلابس، فكأنه قيل: فأذاقه ما غشيهم من الجوع والخوف، ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الإحاطة بهما، فإن الاستنكار لا يقع إلا لمن فقدهما.

أحدهما أن ينظروا فيه إلى المستعار له، كما نظر إليه هاهنا. ونحوه قول كثيّر:

غمر الرّداء إذا تبسّم ضاحكا***غلقت لضحكته رقاب المال.

حيث أقدم الشّاعر على استعارة الرداء للمعروف، لأنّه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه. ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال، لا صفة الرداء، نظر إلى المستعار له.

والثاني أن ينظروا فيه إلى المستعار كقوله:

ينازعني ردائي عبد عمـــــــــــــــرو***ورديدك يا أخا عمرو بن بكر

والرّداء هنا المراد به السيف.

وهنالك رأي آخر يرى فيه أصحابه بأنّ الاستعارة في الآية سابقة الذكر جاءت حسيّة وليست عقلية لأنّه جعل اللّباس استعارة لما يلبسه الإنسان عند جوعه وخوفه من امتقاع اللّون وبداية ذهابه في الثّياب ورثاثة الهيئة.

[1] جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف ج2 ص639.

ولا يحسن دخول الكاف ونحوه في شيء من الأمثلة المتعلّقة بالاستعارة ونحوها إلاّ بتغيير صورته، كقولك **هو كالبدر إلاّ أنّه يسكن الأرض وكالشمس إلاّ أنّه لا يغيب.**

مثل قول أبي الطيب:

أسد دم الأسد الهزبر خضابه***موت فريص الموت منه يرعد.

والدّليل على أنّ الاستعارة مجاز لغوي، كونها موضوعة للمشبّه به لا للمشبّه ولا لأمر أهم منهما، كالأسد فإنه موضوع للسبع المخصوص لا للرّجل الشّجاع ولا للشّجاع مطلقا، لأنه لو كان موضوعا لأحدهما لكان استعماله في الرّجل الشجاع من جهة التحقيق لا من جهة التشبيه. وأيضا لو كان موضوعا للشجاع مطلقا لكان وصفا لا اسم جنس.

وقيل الاستعارة مجاز عقلي بمعنى أنّ التصرّف فيها في أمر عقلي لا لغوي، لأنها لا تطلق على المشبه إلاّ بعد ادّعاء دخوله في جنس المشبّه به لأنّ نقل الاسم وحده لو كان استعارة لكانت الأعلام المنقولة كيزيد ويشكر استعارة ولما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة لأنّه لا بلاغة في إطلاق الاسم المجرّد عاريًا عن معناه ولما صح أن يقال لمن قال رأيت أسدا يعني زيدا أنّه جعله أسدا كما لا يقال لمن سمّى ولده أسدا إنّه جعله أسدا، لأنّ جعل إذا تعدّى إلى مفعولين كان بمعنى صيّر فأفاد إثبات صفة للشيء فلا تقول جعلته أميرا إلا على معنى أنّك أثبتّ له صفة الإمارة وعليه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾.[1] المعنى أنّهم أثبتوا صفة الأنوثة واعتقدوا وجودها في الملائكة. وعن هذا الاعتقاد صدر عنهم للملائكة إطلاق اسم الإناث عليهم، لا أنهم أطلقوه من غير اعتقاد ثبوت معناه لهم بدليل قوله تعالى (أشهدوا خلقهم).

[1] سورة الزخرف 19.

ووجه التوفيق أن تبنى دعوى الأسدية للرجل، على ادعاء أن أفراد جنس الأسد قسمان بطريق التأويل متعارف، وهو الذي له غاية الجراءة وغاية قوة البطش مع الصورة المخصوصة، وغير متعارف وهو الذي له تلك الجراءة وتلك القوة لا مع تلك الصورة بل مع صورة أخرى. على نحو ما ارتكب المتنبي هذا الادّعاء في عد نفسه وجماعته من جنس الجن، وعن جماله من جنس الطير حين قال:

نحن قوم الجن في زي ناس***فوق طير لها شخوص الجمال.

مستشهدا لدعواه تلك بالمخيلات العرفية وأن تخصص القرينة بنفيها المتعارف الذي يسبق إلى الفهم ليتعين الآخر.

وإذ قد عرفت معنى الاستعارة وأنها مجاز لغوي فاعلم أن الاستعارة تفارق الكذب من وجهين، بناء الدّعوى فيها على التأويل ونصب القرينة على أن المراد بها خلاف ظاهرها. فإنّ الكاذب يتبرأ من التأويل ولا ينصب دليلا خلاف زعمه وأنها لا تدخل في الأعلام لما سبق من أنها تعتمد إدخال المشبه في جنس المشبه به. والعلمية تنافي الجنسية وأيضا لأن العلم لا يدل إلا على تعين شيء من غير إشعار بأنه إنسان أو فرس أو غيرهما فلا اشتراك بين معناه وغيره إلا في مجرد التعين ونحوه من العوارض العامة التي لا يكفي شيء منها جامعا في الاستعارة اللهم إلا إذا تضمن نوع وصفية لسبب خارج كتضمن اسم حاتم الجواد ومادر البخيل وما جرى مجراهما. وقرينة الاستعارة إما معنى واحد كقولك **رأيت أسدا يرمي** أو أكثر كقول بعض العرب:

فإن تعافوا العدل والإيمانا***فإن في إيماننا نيرانا.

فالشّاعر بحسب ما جاء في دلائل الإعجاز[1] يريد أن في أيماننا سيوفا نضربكم بها، فجوابه على الشطر الأول من البيت أو صدره، أنهم يحاربون ويقسرون على الطاعة بالسيف، ثم قوله: «فإن في أيماننا»، لما عقل مراده، ولما جاز له أن يستعير النيران للسيوف، لأنه كان لا يعقل الذي يريد، لأنّا وإن كنا نقول: «في أيديهم سيوفا تلمع كأنها شعل نار» كما قال الآخر في وصف السيف:

ناهضتهم والبارقات كأنها***شعل على أيديهم تتلهب

وكاستعارة التقطيع لتفريق الجماعة وإبعاد بعضهم عن بعض في قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.[2] فإن القطع في هذا الموضع مختصّ بالتفريق بين النّاس إلى فريقين، صالحون ودون ذلك. وقد ذهبت التفاسير إلى أنّه يختصّ باليهود الذين فرّقهم الله سبحانه وتعالى فرقا وشتّت أمرهم.[3] أمّا القطع بشكل عام فهو موضوع لإزالة الاتصال بين الأجسام التي بعضها ملتصق ببعض، فالجامع بينهما إزالة الاجتماع والتفريق التي هي داخلة في مفهومها وهي في القطع أشد.

وكاستعارة النثر لإسقاط المنهزمين وتفريقهم في قول أبي الطيب:

نثرتهم فوق الأحيدب نثرة***كما نثرت فوق العروس الدراهم

لأنّ النثر أن تجمع أشياء في كفّ أو وعاء ثمّ يقع فعل تتفرق معه دفعة من غير ترتيب ونظام، وقد استعاره لما يتضمن التفرّق على الوجه المخصوص، وهو ما اتّفق من تساقط المنهزمين في الحرب دفعة من غير ترتيب ونظام ونسبه إلى الممدوح لأنّه سببه.

---

[1] أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى1422هـ/2001م ص196.

[2] سورة الأعراف168.

[3] ينظر أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي محي السنّة، معالم التنزيل ج3 ص295.

والثّاني ما يكون الجامع فيه غير داخل في مفهوم الطرفين كقولك رأيت شمسا وتريد إنسانا يتهلّل وجهه فالجامع بينهما التلألؤ وهو غير داخل في مفهومهما كقول ابن المعتز:

حتى إذا ما عرف الصيد الضار***وأذن الصبح لنا في الأبصار

ولّما كان تعذّر الابصار منعا من اللّيل جعل إمكانه عند ظهور الصبح إذنا منه.

ومثلها في الحسن وعلو الطبقة قول ابن المعتز:

سالت عليه شعاب الحي حين دعا***أنصاره بوجوه كالدنانير.

أراد أنّه مطاع في الحي وفي قومه، وأنّهم يسرعون إلى نصرته، وأنه لا يدعوهم لخطب إلا أتوه وكثروا عليه وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسّيول تجيء من ههنا وههنا وتنصب من هذا المسيل وذاك حتى يغصّ بها الوادي ويطفح منها وهذا شبه معروف ظاهر ولكن حسن التصرّف فيه أفاد اللطف والغرابة وذلك أن أسند الفعل إلى الشّعاب دون الأنصار أو وجوههم حتى أفاد أنه امتلأت الشّعاب من الرجال.

ومما هو أصْلٌ في شرَف الاستعارة، أنْ تَرى الشاعرَ قد يجمع بين استعاراتٍ عدةٍ، قَصْداً إلى أنْ يُلحقَ الشكلَ بالشّكْلِ، وأن يُتِمَّ المعنى والشّبَهَ فيما يريد، مثاله قول امرئ القيس مثلما سبق ذكره في وصف اللّيل:

فقلت له لما تمطى بصلبه***وأردف إعجازا وناء بكلكل.

فصاحب دلائل الإعجاز يرى بأنّ الشّاعر جعلَ لِلّيل صُلْباً قد تمطّى به، ثمّ جعَلَ لَهُ أعجازاً قد أردفَ بها الصُّلْبَ، وثلّثَ فجعَل له كَلْكَلاً قد ناءَ به، فاسْتَوفي له جملةُ أركانِ

الشَّخصِ، وراعَى ما يرَاه الناظرُ من سَواده، إذا نظرَ قُدَّامه، وإذا نَظَر إلى خَلْفِه، وإذا رفَعَ البصرَ ومدَّه في عُرْض الجو.[1]

[1] أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة، الطبعة الثالثة 1413هـ/1992م ص79.

المحاضرة السّابعة

وللاستعارة أوجه منها **استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسّي** كقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾.[1] فإنّ المستعار منه ولد البقرة وهو العجل والمستعار له الحيوان الذي خلقه الله تعالى. فكأنّ السّامري المذكور في هذه القصّة أخرج لهم من الحليّ التي جمعها منهم ثمّ سبكتها النّار بعد إلقائه فيها التربة. والصورة مشابهة لإخراج العجل من أمّه، والجامع لهما الشّكل والجميع حسّي. وكقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾.[2] فإن المستعار منه حركة الماء في التموّج على الوجه المخصوص والمستعار له حركة الإنس والجن أو يأجوج ومأجوج وفي تداخلهم وهما حسيان أو محسوسان فحركة تموّج الماء محسوسة وتداخل النّاس محسوس كذلك والجامع لهما ما يشاهد من شدة الحركة والاضطراب.

وأما قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾.[3] فليس ممّا نحن فيه وإن عد منه لأنّ فيه تشبيهين تشبيه الشيب بشواظ النّار في بياضه وإنارته وتشبيه انتشاره في الشعر باشتعالها في سرعة الانبساط مع تعذر تلافيه والأول استعارة بالكناية والجامع في الثاني عقلي وكلامنا في غيرهما

[1] سورة طه 88.
[2] سورة الكهف 99.
[3] سورة مريم 4.

ومنها **استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي** كقوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾.[1] ففي هذه الآية وجه آخر من وجوه البلاغة العالية وقوّة البيان وجمال القول في تصوير جمالي لبداية حلول اللّيل ونهاية النهار أو الانتقال من النهار إلى اللّيل فإن المستعار منه هو السّلخ وهو كشط الجلد وإزالته عن الشاة ونحوها والمستعار له إزالة الضوء عن مكان اللّيل وملقى ظلّه وهما حسيّان فالسّلخ مرئي واللّيل مرئي ومحسوس، والجامع لهما ما يعقل من تركيب أمر على آخر. وإذا ما أُريدَ تصوّر عمليّة السّلخ بوجه المقارنة فالنهار هو الجلد واللّيل هو الجسد ومن ثمّة فالنهار كان يغطّي اللّيل الذي هو الأصل ثم سُلِخَ النهار منه. وكقوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾.[2] فإن المستعار منه هو العقيم صفة للرجل والمرأة والمستعار له الريح والجامع المنع من ظهور النتيجة والأثر فالعقم يمنع الحمل ولا يترك أثرا فالطرفان حسّيان والجامع عقلي وفيه نظر لأن العقيم صفة للرّجل والمرأة ثمّ ركّبت مع الريح لتصبح صفة له تمنع من إنشاء المطر وإلقاح الشجر والجامع لهما ما ذكر.

واستعارة **محسوس لمحسوس بما بعضه حسي وبعضه عقلي** فكقولك **رأيت شمسا** وأنت تريد إنسانا شبيها بالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشأن.

واستعارة معقول لمعقول فكقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾.[3] فإن المستعار منه الرّقاد والمستعار له الموت والجامع لهما عدم ظهور الأفعال والجميع عقلي.

---

[1] سورة يس 37.
[2] سورة الذاريات 41.
[3] سورة يس 52.

واستعارة محسوس لمعقول فكقوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾.[1] **فإنّ** المستعار منه صدع الزّجاجة وهو كسرها وهو حسّي والمستعار له تبليغ الرسالة والجامع لهما التأثير وهما عقليان كأنّه قيل اِبنِ الأمر إبانة لا تنمحي كما لا يلتئم صدع الزجاجة.

وكقوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.[2] **جعلت الذلّة** محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كمن يكون في القبة ضربت عليه أو كما يضرب الطّين على الحائط فيلزمه فالمستعار منه إما ضرب القبة على الشخص وإما ضرب الطين على الحائط وكلاهما حسيّ والمستعار له حالهم مع الذلة حيث أصبحت لصيقة بهم ودائمة والجامع هو الإحاطة أو اللزوم وهما عقليان.

واستعارة معقول لمحسوس فكقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾.[3] **فإن** المستعار له كثرة الماء وهو حسيّ فهو يريد تصوير كثافة المياه والمستعار منه التكبّر والجامع الاستعلاء المفرط وهما عقليان.

[1] سورة الحجر 94.
[2] سورة آل عمران 112.
[3] سورة الحاقة 11.

تحصيل:[1]

الأمثلة	المشبه	المشبه به	وجه الشبه
الخد وردة	محسوس	محسوس	حسي
الريح امرأة عقيم	محسوس	محسوس	عقلي
العلم حياة	معقول	معقول	عقلي
الموت رقاد	معقول	معقول	عقلي
الورد سعادة	محسوس	معقول	عقلي
المتكبر ماء	معقول	محسوس	عقلي

ويمكن تحليل مكامن المجاز وأوجه الشبه على الشكل الآتي:

العمر سفر	الصبا رحلة	الصبا	عدم التجربة/تقدم في العمر/اكتشاف المجهول/التوجه نحو هدف
		رحلة	زاد/راحلة/مراحل تقطع/اكتشاف المجهول
	الشيخوخة استقرار	الشيخوخة	ضعف/وهن/تلبث/عدم المغامرة/ضآلة الملاذ
		استقرار	تلبث/ضيق المجال/عدم المغامرة/احتمال ضآلة الحصول على منافع

[1] ينظر محمد مفتاح، مجهول البيان، دار توبقال الدار البيضاء المغرب الطبعة الأولى1990 ص45.

المحاضرة الثامنة

المجاز المركب: فهو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه أي تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى ثم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه كما كتب به الوليد بن يزيد لما بويع إلى مروان بن محمد وقد بلغه أنه متوقف في البيعة له: أما بعد فإني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام. شبّه صورة تردده في المبايعة بصورة تردد من قام ليذهب في أمر فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا وتارة لا يريد فيؤخر أخرى. وكما يقال لمن يعمل في غير معمل **أراك تنفخ في غير فحم وتخط على الماء**. والمعنى أنك في فعلك كمن يفعل ذلك. وكما يقال لمن يعمل الحيلة حتى يميل صاحبه إلى ما كان يمتنع منه **ما زال يفتل منه في الذروة والغارب حتى بلغ منه ما أراد**. والمعنى أنه لم يزل يرفق بصاحبه رفقا يشبه حاله فيه حال من يجيء إلى البعير الصعب فيحكه ويفتل الشعر في ذروته وغاربه حتى يسكن ويستأنس وهذا في المعنى نظير قولهم **فلان يقرد فلانا** أي يتلطف به فعل من ينزع القراد من البعير ليلتذّ بذلك فيسكن ويثبت في مكانه حتى يتمكن من أخذه. وكذا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.[1] فإنه لمّا كان التقدّم بين يديّ الرّجل خارجا عن صفة المتابع له صار النهي عن التقدم متعلقا باليدين مثلا للنهي عن ترك الاتباع وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

[1] سورة الحجرات 1.

وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.[1] إذ المعنى والله أعلم أنّ مثل الأرض في تصرفها تحت أمر الله تعالى وقدرته مثل الشيء يكون في قبضة الآخذ له منّا والجامع يده عليه. وكذا قوله تعالى في الآية نفسها: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ أي يخلق فيها صفة الطيّ حتى ترى كالكتاب المطويّ بيمين الواحد منا. وخصّ اليمين ليكون أعلى وأفخم للمثل لأنها أشرف اليدين وأقواهما، والتي لا غناء للأخرى دونها فلا يهشّ إنسان لشيء إلا بدأ بيمينه فهيأها لنيله ومتى قصد جعل الشيء في جهة العناية جعل في اليد اليمنى ومتى قصد خلاف ذلك جعل في اليسرى كما قال ابن ميادة:

ألم تك في يمنى يديك جعلتني ***فلا تجعلني بعدها في شمالكا

أي كنت مكرما عندك فلا تجعلني مهانا وكنت في المكان الشريف منك فلا تحطني في المنزل الوضيع. وكذا إذا قلت للمخلوق " أردت المثل أي الأمر كالشيء يحصل في يدك فلا يمتنع عليك. وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾.[2] فسكوت الغضب عن موسى يراه الزمخشري في كشّافه بأنّه داخل في باب المثل، وكأنّ الغضب كان يغريه فيأمره على فعل ما قال لقومه وعلى القاء الألواح التي كانت بيده، وجرّ رأس أخيه، ليترك ذلك ويكسر ذلك الإغراء ويتغلّب عليه، وذلك هو مصدر الحسن والرّوعة في هذا التركيب عالي البلاغة، ومعناه العام ولمّا طفئ غضبه وذهب عنه أخَذَ الْألواحَ التي ألقاها.[3]

[1] سورة الزمر 67.
[2] سورة الأعراف154.
[3] جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف ج2 ص163.

وأما قولهم **اعتصمت بحبله** فالزمخشري يرى أيضا بأنّ ذلك يجوز أن يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته باستمساك المتدلّي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه وأن يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد أو ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه.

وكلّ هذا يسمّى التمثيل على سبيل الاستعارة. وقد يسمّى التمثيل مطلقا ومتى فشا استعماله كذلك سمي مثلا. ولذلك لا تغير الأمثال. ومما يبنى على التمثيل نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.[1] معناه لمن كان له قلب ناظر فيما ينبغي أن ينظر فيه واع لما يجب وعيه. ولكن عدل عن هذه العبارة ونحوها إلى ما عليه التلاوة بقصد البناء على التمثيل ليفيد ضربا من التخييل وذلك أنّه لمّا كان الإنسان حين لا ينتفع بقلبه، فلا ينظر فيما ينبغي أن ينظر فيه ولا يفهم ولا يعي، جعل كأنه قد عدم القلب جملة، كما جعل من لا ينتفع بسمعه وبصره فلا يفكر فيما يؤديان إليه بمنزلة العادم لهما. ولزم على هذا أن لا يقال فلان له قلب إلاّ إذا كان ينتفع بقلبه، فينظر فيما ينبغي أن ينظر فيه، ويعي ما يجب وعيه، فكان في قوله تعالى لمن كان له قلب، تخييل أن من لم ينتفع قلبه كالعادم للقلب جملة. بخلاف قولنا لمن كان له قلب ناظر فيما ينبغي أن ينظر فيه واع لما يجب وعيه، وفي نظم الآية فائدة أخرى شريفة وهي تقليل اللّفظ مع تكثير المعنى. وفي هذا الموضع يرى صاحب دلائل الإعجاز[2] في باب اللّفظ والنّظم بأنّ الامر يختصّ بمَنْ أعْمَلَ قلْبَه فيما خُلِق القلبُ لهُ مِنَ التدبُّر والتفكُّر والنظرِ في كلّ شيء يتطلّب النظر فيه. وفي ذلك تصوير لمن لا يَعِي ولا يسمَعُ ولا يَنْظرُ ولا يتفكَّرُ، كأنه عديم القلبَ من حيثُ عَدِمَ الانتفاعَ به، وفاتَه الذي هو فائدةُ القلبِ والمطلوب منه، فهو يردّ بذلك رأي

[1] سورة ق 37.
[2] أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني ص305.

بعض المفسّرين الذين قالوا بأنّ القلب هو بمعنى العقل.[1] فالمعنى برأي دلائل الإعجاز أنّ من لا يَفْقَه بقلبهِ ولا يَنْظُر ولا يَتفكّر، كأنه ليس بذي قلبٍ، وكأنّه جمادٌ أو ميْتٌ لا يَشْعر ولا يُحِسّ.

فالتركيب على هذا المثل شائع وسائر على ألسن النّاس فالقول "**قد غاب عني قلبي**" أو "**ليس يحضرني قلبي**" مستعمل ويُراد به غفلته عن الشّيء والكلام هنا مبني على التخييل. وهذا هو دور القلب لمّا وُصف بذلك أي الإدراك والعلم بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.[2] واعلم أنّ المثل السّائر لمّا كان فيه غرابة استعير لفظة المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة وهو في القرآن كثير كقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾.[3] أي حالهم العجيبة الشّأن كحال الذي توقد نارا وكقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.[4] أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة وقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ

[1] القول ينسبه المفسّرون إلى ابن عبّاس، ينظر أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي معالم التنزيل ج7 ص364.
[2] سورة الأعراف197.
[3] سورة البقرة17.
[4] سورة النحل60.

فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾.[1] **أي صفتهم وشأنهم المتعجب منه في التوراة. وكقوله تعالى:** ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾.[2] **أي فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم أخذ في بيان عجائبها إلى غير ذلك.**

[1] سورة الفتح29.
[2] سورة الرعد35.

المحاضرة التاسعة

الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية

قد يضمر التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبّه ويدلّ عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به من غير أن يكون هناك أمر ثابت حسّا أو عقلا أجري عليه اسم ذلك الأمر فيسمى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنيا عنها وإثبات ذلك الأمر للمشبّه استعارة تخييلية ومنه قول لبيد:

وغداة ريح قد كشفت وقرة***إذ أصبحت بيد الشمال زمامها.[1]

فإنّه جعل للشّمال يدا ومعلوم أنّه ليس هناك أمر ثابت حسّا أو عقلا تجري اليد عليه كإجراء الأسد على الرجل الشجاع والصراط على ملّة الإسلام فيما سبق، ولكن لمّا شبّه الشّمال لتصريفها القرة على حكم طبيعتها في التصريف بالإنسان المصرف لما زمامه بيده أثبت لها يدا على سبيل التخييل مبالغة في تشبيهها به وحكم الزّمان في استعارته للقرة حكم اليد في استعارتها للشمال فجعل للقرة زماما ليكون أتمّ في إثباتها مصرفة كما جعل للشّمال يداً ليكون أبلغ في تصييرها متصرّفة فوفّى المبالغة حقّها من الطرفين فالضّمير في أصبحت وزمامها للقرة.

واعلم أنّ الأمر المختص بالمشبّه به المثبت للمشبّه منه ما لا يكمل وجه الشّبه في المشبّه به بدونه كما في قول أبي ذؤيب الهذلي:

وإذا المنية أنشبت أظفارها***ألفيت كل تميمة لا تنفع.

[1] لَبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري، ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق حمدو طمّاس، دار المعرفة، الطبعة الأولى1425ه/2004م ص104.

فإن شبه المنية بالسبع في اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار ولا رقّة لمرحوم ولا بقيا على ذي فضيلة فأثبت للمنية الأظفار التي لا يكمل ذلك في السبع بدونها تحقيقا للمبالغة في التشبيه.

شروط حسن المجاز وجودته: وإذ قد عرفت معنى الاستعارة التحقيقية والاستعارة التخييليّة والاستعارة بالكناية والتمثيل على سبيل الاستعارة، فاعلم أن لحسنها شروطا، إن لم تصادفها عريت عن الحسن، وربما تكتسب قبحا، وهي في كلّ من التحقيقيّة والتمثيل رعاية ما سبق ذكره من جهات حسن التشبيه وأن لا يشم من جهة اللّفظ رائحته. ولذلك يوصي فيه أن يكون الشبه بين طرفيها جليا بنفسه أو عرف أو غيره. وإلا صار تعمية وألغازا لا استعارة وتمثيلا. كما إذا قيل رأيت أسدا وأريد إنسان أبخر وكما إذا قيل رأيت إبلا مائة لا تجد فيها راحلة وأريد الناس أو قيل رأيت عودا مستقيما أو أن الغرس وأريد إنسان مؤدّب في صباه. وهذا ظهر أنهما لا يجيئان في كلّ ما يجيء فيه التشبيه. ومما يتصل بهذا أنه إذا قوي الشّبه بين الطرفين بحيث صار الفرع كأنّه الأصل لم يحسن التشبيه وتعينت الاستعارة وذلك كالنّور إذا شبه العلم به والظلمة إذا شبهت الشبهة بها، فإنه لذلك يقول الرّجل إذا فهم المسألة **حصل في قلبي نور** ولا يقول **كأن نورا حصل في قلبي** ويقول لمن أوقعه في شبهة **أوقعتني في ظلمة** ولا يقول **كأنك أوقعتني في ظلمة**. وكذا المكنى عنها حسنها برعاية جهات حسن التشبيه وأما التخييلية فحسنها بحسب حسن المكنى عنها لما بينا أنها لا تكون إلا تابعة لها.

المجاز إعرابا: واعلم أنّ الكلمة كما توصف بالمجاز لنقلها عن معناها الأصلي كما مضى توصف به أيضا لنقلها عن إعرابها الأصلي إلى غيره لحذف لفظ أو زيادة لفظ أما

الحذف فكقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.[1] **أي أهل القرية** فإعراب القرية فيه حذف للمضاف وأعطى المضاف إليه إعرابه ونحوه قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾.[2] أي أمر ربّك. وكذا القول **بنو فلان يطؤهم الطريق** أي أهل الطريق. وأمّا الزيادة فكقوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.[3] على القول بزيادة الكاف **أي ليس مثلَهُ شيء** فإعراب مثله في الأصل هو النصب فزيدت الكاف فصار جرا.

[1] سورة يوسف82.
[2] سورة الفجر22.
[3] سورة الشورى11.

المحاضرة العاشرة

الكناية:[1]

والمراد بالكناية أن يُريد المتكلمُ إثباتَ معنًى من المَعاني، فلا يذكُرُه باللّفظِ الموضوعِ له في اللُّغة، ولكنْ يَجيءُ إلى معنى هو تاليهِ وردِفُه في الوجود، فيومئ به إليهِ، ويجعلهُ دليلاً عليه، مثال ذلك قولُهم: "**هو طَويلُ النِّجاد**"، يريدونَ طويلَ القامة "**وكثيرُ رمادِ القِدْر**" يَعْنون كثيرَ القِرى وفي المرأة: "**نَؤومُ الضُّحى**"، والمرادُ أنها مُتْرفةٌ مَخْدومة، لها مَنْ يَكفيها أمْرَها أي مرفهة مخدومة غير محتاجة إلى السّعي بنفسها في إصلاح المهمّات، وذلك أن وقت الضّحى وقت سعي نساء العرب في أمر المعاش وكفاية أسبابه وتحصيل ما يحتاج إليه في تهيئة المتناولات وتدبير إصلاحها، فلا تنام فيه من نسائهم إلاّ من تكون لها خدم ينوبون عنها في السّعي لذلك. ولا يمتنع أن يراد مع ذلك طول النّجاد والنّوم في الضحى من غير تأويل، فقد أرادوا في هذا كُله، كما تَرى، معنًى، ثمّ لم يَذْكُروه بلفظِه الخاصِّ به، ولكنّهُم تَوصّلوا إليه بذِكْر معنًى آخر مِنْ شأنِه أن يَرْدُفَه في الوجود، وأنْ يكونَ إذا كانَ. أفلا تَرى أنّ القامةَ إذا طالتْ طالَ النجادُ غمد السيف؟ وإذا كثُرَ القِرى والضيافة كثُرَ رَمادُ القِدْر؟ وإذا كانتِ المرأةُ مُتْرفةً لها مَنْ يَكفيها أمْرَها، رَدِف ذلك أنْ تنامَ إلى الضُّحى.

وفرّق السّكّاكيّ وغيره بين الكناية والمجاز بوجه آخر أيضا وهو أن مبني الكناية على الانتقال من اللاّزم إلى الملزوم ومبني المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللاّزم.

1 ينظر ما يتعلّق بالكناية أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني تحقيق محمود محمد شاكر ص66. الإيضاح في علوم البلاغة ص301. يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي أبو يعقوب، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الثانية1407هـ/1987م ص402.

وفيه نظر لأنّ اللازم ما لم يكن ملزوما يمتنع أن ينتقل منه إلى الملزوم فيكون الانتقال حينئذ من الملزوم إلى اللازم ولو قيل اللزوم من الطرفين من خواص الكناية دون المجاز أو شرط لها دونه اندفع هذا الاعتراض لكن اتجه منع الاختصاص والاشتراط.

ثمّ الكناية ثلاثة أقسام لأنّ المطلوب بها إما غير صفة ولا نسبة أو صفة أو نسبة والمراد الصفة المعنوية كالجود والكرم والشجاعة وأمثالها لا النعت.

الأولى المطلوب بها غير صفة ولا نسبة: كقول البحتري في قصيدته التي يذكر فيها قتله الذئب:

فأتبعتها أخرى فأضللت نصلها***بحيث يكون اللب والرعب والحقد

فقوله بحيث يكون اللبّ والرّعب والحقد ثلاث كنايات لا كناية واحدة لاستقلال كلّ واحد منها بإفادة المقصود ومنها ما هو مجموع معان كقولنا كناية عن الإنسان حي مستوي القامة عريض الأظفار وشرط كلّ واحد منهما أن تكون مختصة بالمكنى عنه لا تتعداه ليحصل الانتقال منها إليه.

الثانية المطلوب بها صفة: وهي ضربان قريبة وبعيدة القريبة ما ينتقل منها إلى المطلوب بها لا بواسطة وهي إمّا واضحة كقولهم كناية عن طويل القامة طويل نجاده وطويل النجاد والفرق بينهما أن الأول كناية ساذجة والثاني كناية مشتملة على تصريح ما لتضمن الصفة فيه ضمير الموصوف بخلاف الأول.

وأما خفية كقولهم كناية عن الأبله عريض القفا فإن عرض القفا وعظم الرأس إذا أفرط فيما يقال دليل الغباوة ألا ترى قول طرفة بن العبد:

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه***خشاش كرأس الحية المتوقد

والبعيدة ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة كقولهم كناية عن الأبله عريض الوسادة فإنه ينتقل من عرض الوسادة إلى عرض القفا ومنه إلى المقصود. وكقولهم كثير

الرماد كناية عن المضياف فإنه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدور ومنها إلى كثرة الطبائخ ومنها إلى كثرة الآكلة ومنها إلى كثرة الضيفان. ومنها المقصود بقوله:

وما بك فيَ من عيب فإني***جبان الكلب مهزول الفصيل.[1]

فإنّه ينتقل إلى جبن الكلب من قلّة نباحه ذلك لكثرة اتصاله بالبشر ومداومة مشاهدته وطول اعتياده لهم، فألفهم لكون المنزل كثير استقبال الضيوف، ومن ثمّة فالمنزل مشهور بحسن قرى الأضياف. وكذلك ينتقل من هزال الفصيل إلى فقد الأم ومنه إلى قوّة الدّاعي إلى نحرها لكمال عناية العرب بالنوق ومنها إلى صرفها إلى الطبائخ ومنها إلى أنّه مضياف.

ومن هذا النوع قول نصيب:

لعبد العزيز على قومـه***وغيرهم منن ظاهـــرة

فبابك أسهل أبوابهـــم***ودارك مأهولة عامرة

وكلبك آنس بالزائرين***من الأم بالابنـــــة الزائرة

فإنه ينتقل من وصف كلبه بما ذكر إلى أن الزائرين معارف عنده، ومن ذلك إلى اتصال مشاهدته إياهم ليلا ونهارا، ومنه إلى لزومهم سدته ومنه إلى تسنّي مباغيهم لديه من غير انقطاع ومنه إلى وفور إحسانه إلى الخاص والعام وهو المقصود. ونظيره مع زيادة لطف قول الآخر:

يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلا***يكلمه من حبه وهو أعجم.

ومنه قوله:

لا أمتع العوذ بالفصال ولا***أبتاع إلا قريبة الأجل

[1] ينظر أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، شرح ديوان الحماسة، باب الأضياف في قول حجر بن خالد، تحقيق غريد الشيخ وإبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى1424هـ/2003م ص1155.

فإنه ينتقل من عدم إمتاعها إلى أنه لا يبقى لها فصالها لتأنس بها ويحصل لها الفرح الطبيعي بالنظر إليها ومن ذلك إلى نحرها أو لا يبقى العوذ إبقاء على فصالها وكذا قرب الأجل ينتقل منه إلى نحرها ومن نحرها إلى أنه مضياف ومن لطيف هذا القسم قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.[1] أي ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لأنّ من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غما ويَضْرِبُ إِحْدَى يديه على الأخرى، ومن مخارج الندم وأحواله كذلك تقليب الكفّين مثلما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.[2] وقد تكون من مخارج النّدم وملامحه العضّ على اليدين، وذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾.[3] وَالنَّادِمُ يَضَعُ ذَقَنَهُ فِي يَدِهِ. وَقِيلَ: أَصْلُهُ مِنَ الاسْتِئْسَارِ، وَهُوَ أَنْ يَضْرِبَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ أَوْ يَصْرَعَهُ فَيَرْمِيَ بِهِ مِنْ يَدَيْهِ إِلَى الأَرْضِ لِيَأْسِرَهُ أَوْ يُكَتِّفَهُ، فَالْمَرْمِيُّ مَسْقُوطٌ بِهِ فِي يَدِ السَّاقِطِ.[4]

وكذا قول أبي الطيب كناية عن الكذب:

تشتكي ما اشتكيت من ألم الشوق***إليها والشوق حيث النحول

وكذا قوله:

إلى كم ترد الرسل عما أتوا له***كأنهم فيما وهبت ملام

[1] سورة العراف149.
[2] سورة الكهف42.
[3] سورة الفرقان27.
[4] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج7 ص286.

فإنّ أوله كناية عن الشجاعة وآخره كناية عن السماحة.

وكذا قول أبي تمام:

فإن أنا لم يحمدك عني صاغرا***عدوك فاعلم أنني غير حامد

يريد بحمده عنه حفظه مدحه فيه وإنشاده أي إن لم أكن أجيد القول في مدحك حتى يدعو حسنه عدوك إلى أن يحفظه ويلهج به صاغرا فلا تعدني حامدا لك بما أقول فيك ووصفه بالصغار لأن من يحفظ مديح عدوه وينشده فقد أذل نفسه فكنى بحفظ عدو الممدوح مدحه ما عن إجادته القول في مدحه.

وكذا قول من يصف راعي إبل أو غنم:

ضعيف العصا بادي العروق ترى له***عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا

أي جعلها كالدم في الحسن والغرض فضعيف العصا كناية عن حسن الرّعية والعمل بما يصلحها ويحسن أثره عليها فأراد أنه رفيق مشفق عليها لا يقصد من حمل العصا أن يوجعها بالضرب من غير فائدة فهو يتخير ما لان من العصا ويتوخى بها ما تسمن عليه ويتضمن أيضا أنه يمنعها عن التشرد والتبدد

الثالثة المطلوب بها نسبة: كقول زياد الأعجم:

إن السماحة والمروءة والندى***في قبة ضربت على ابن الحشرج

فإنّه حين أراد أن لا يصرّح بإثبات هذه الصّفات لابن الحشرج جمعها في قبة تنبيها بذلك على أن محلها ذو قبة وجعلها مضروبة عليه لوجود ذوي قباب في الدنيا كثيرين فأفاد إثبات الصفات المذكورة له بطريق الكناية ونظيره قولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه.

وقول الآخر:

والمجد يدعو أن يدوم لجيده***عقد مساعي ابن العميد نظامه

فإنه شبّه المجد بإنسان بديع الجمال في ميل النفوس إليه وأثبت له جيدا على سبيل الاستعارة التخييليّة ثم أثبت لجيده عقدا ترشيحا للاستعارة ثمّ خصّ مساعي ابن العميد بأنّها نظامه فنبه بذلك على اعتنائه خاصّة بتزيينه وبذلك على محبته وحده له وبها على اختصاصه به ونبّه بدعاء المجد أن يدوم لجيده ذلك العقد على طلبه دوام بقاء ابن العميد وبذلك على اختصاصه به.

وكقول أبي نواس:

فما جازه جود ولا حل دونه***ولكن يصير الجود حيث يصير

فإنه كنّى عن جميع الجود بأن نكره، ونفى أن يجوز ممدوحه ويحلّ دونه فيكون متوزّعا يقوم منه شيء بهذا وشيء بهذا وعن إثباته له بتخصيصه بجهته بعد تعريفه باللام التي تفيد العموم. ونظيره قولهم **مجلس فلان مظلة الجود والكرم**. وقيل كنّى بالشطر الأول عن اتصافه بالجود وبالثّاني عن لزوم الجود له. ويحتمل وجها آخر وهو أن يكون كلّ منهما كناية عن اختصاصه به وعدم الاقتصار على أحدهما للتأكيد والتقرير وذكرهما على الترتيب المذكور لأنّ الأولى بواسطة بخلاف الثّانية. وكقولهم **مثلك لا يبخل**، قال الزمخشري نفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لأنّهم إذا نفوه عمّن يسدّ مسدّه وعمّن هو على أخصّ أوصافه فقد نفوه عنه. ونظيره قولك للعربي **العرب لا تخفر الذمم**. فإنه أبلغ من قولك **أنت لا تخفر**. ومنه قولهم **أيفعت لداته وبلغت أترابه** يريدون إيفاعه وبلوغه. وعليه قوله تعالى:

﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.[1] **على أحد الوجهين وهو ألاّ تجعل الكاف زائدة،**

[1] سورة الشورى11.

قيل وهذا غاية لنفي التشبيه، إذ لو كان له مثل لكان لمثله شيء يماثله وهو ذاته تعالى، فلمّا قال ليس كمثله، دلّ على أنّه ليس له مثل، وأورد أنّه يلزم منه نفيه تعالى لأنّه مثل مثله ورد بمنع أنه تعالى مثل مثله لأن صدق ذلك موقوف على ثبوت مثله تعالى عن ذلك. وكقول الشنفرى الأزدي في وصف امرأة بالعفة:

يبيت بمنجاة من اللوم بيتها***إذا ما بيوت بالملامة حلت

فإنّه نبّه بنفي اللّوم عن بيتها على انتفاء أنواع الفجور عنه وبه على براءتها منها وقال يبيت دون يظل لمزيد اختصاص الليل بالفواحش.

وقد يظنّ أن هنا قسما رابعا وهو أن يكون المطلوب بالكناية الوصف والنسبة معا كما يقال **يكثر الرّماد في ساحة عمرو**. في الكناية عن أنّ عمرا مضياف وليس بذاك إذ ليس ما ذكر بكناية واحدة بل هو كنايتان إحداهما عن المضيافيّة والثانية عن إثباتها لعمرو وقد ظهر بهذا أن طرف النسبة المثبتة بطريق الكناية يجوز أن يكون مكنيا عنه أيضا كما في هذا المثال. ونحوه بيت الشنفرى المتقدّم فإنّ حلول البيت بمنجاة من اللّوم كناية عن نسبة العفّة إلى صاحبه والمنجاة من اللّوم كناية عن العفّة. واعلم أن الموصوف في القسم الثاني والثالث قد يكون مذكورا كما مرّ، وقد يكون غير مذكور كما تقول في عرض من يؤذي المسلمين: **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**.[1] أي ليس المؤذي مسلما. وفي هذا الباب ذهب المشتغلون بشرح الحديث النبوي الشريف إلى أنّ المراد بهذا الحديث الحض على ترك أذى المسلمين باللّسان واليد والأذى كله.[2]

[1] محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، باب ما جاء في أنّ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي بيروت ج5 ص16.

[2] أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، شرح صحيح البخاري، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد السعودية الرياض، الطبعة الثانية1423هـ/2003م ج1 ص62.

وقال صاحب كتاب مفتاح العلوم[1] الكناية تتفاوت إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة فإن كانت عرضية فالمناسب أن تسمى تعريضا وإلا فإن كان بينها وبين المكنى عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط كما في كثرة الرماد وأشباهه فالمناسب أن تسمى تلويحا لأنّ التلويح هو أن يشير إلى غيرك عن بعد وإلا فإن كان فيها نوع خفاء فالمناسب أن تسمى رمزا لأنّ الرّمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية.

وإلا فالمناسب أن تسمى إيماء وإشارة كقول أبي تمام يصف إبلا:

أبين فما يزرن سوى كريم***وحسبك أن يزرن أبا سعيد

فإنه في إفادة أن أبا سعيد كريم غير خاف وكقول البحتري:

أو ما رأيت المجد ألقى رحله***في آل طلحة ثم لم يتحول

فإنه في إفادة أن آل طلحة أماجد ظاهر.

وكقول الآخر:

إذا الله لم يسبق إلى الكرام***فسقى وجوه بني حنبل

وسقى ديارهم بأكرا***من الغيث في الزمن الممحل

وكقول الآخر:

متى تخلو تميم من كريم***ومسلمة بن عمرو من تميم

ثمّ قال والتعريض كما يكون كناية قد يكون مجازا كقولك **آذيتني فستعرف**. وأنت لا تريد المخاطب بل تريد إنسانا معه وإن أردتهما جميعا كان كناية.

[1] ينظر يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الثانية1407هـ/1987م ص403.

المحاضرة الحادية عشر

مستويات التحليل عند أهل اللغة

الفصاحة معنوية ولفظية

ومن اجتهادات بعض أهل اللّغة أنّهم عملوا على تقسيم الفصاحة إلى معنويّة ولفظيّة، وفسّروا المعنوية بخلوص المعنى عن التعقيد. وقصدوا باللّفظية بأن تكون الكلمة عربية أصيلة، وعلامة ذلك أن تكون على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم واستعمالهم لها أكثر، لا ممّا أحدثه المولّدون ولا ممّا أخطأت فيه العامّة. وأن تكون أجرى على قوانين اللّغة، وأن تكون سليمة التنافر ومما ذُكِرَ على سبيل الأنموذج آية للكشف عن وجوه البلاغة والفصاحتين بقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.[1]

النظر فيها من جهة علم البيان

فهو أنّه تعالى لمّا أراد أن يبيّن معنى، أردنا أن نرد ما انفجر من الأرض إلى بطنها فارتد، وأن نقطع طوفان السّماء فانقطع، وأن يغيض الماء النازل من السّماء فغاض، وأن يقضي أمر نوح وهو إنجاز ما كنا وعدناه من إغراق قومه فقضى، وأن نسوّي السفينة على الجودي فاستوت، وأبقينا الظّلَمَةَ غرقى. فهذا تصوير لاقتداره تعالى، وأنّ السماوات والأرض وهذه الأجرام العظام تابعة لإرادته كأنّها عقلاء مميّزون قد عرفوه حقّ معرفته وأحاطوا علما بوجوب الانقياد لأمره، وتحتّم بذل المجهود عليهم في تحصيل مراده.

نظم الكلام

[1] سورة هود44.

ثمّ بنى على تشبيهه هذا، نظم الكلام فقال تعالى "قيل" على سبيل المجاز عن الإرادة الواقع بسببها قول القائل. وجعل قرينة المجاز خطاب الجماد وهو "يا أرض ويا سماء" ومخاطبا لهما على سبيل الاستعارة للشبه المذكور. ثمّ استعار لغور الماء في الأرض البلع الذي هو إعمال الجاذبة في المطعوم بجامع الذّهاب إلى مقر خفي، واستتبع ذلك تشبيه الماء بالغذاء على طريق الاستعارة بالكناية لتقوي الأرض بالماء في الإثبات للزرع والأشجار وجعل قرينة الاستعارة لفظ ابلعي لكونه موضوعا للاستعمال في الغذاء دون الماء. ثمّ أمر على سبيل الاستعارة للشبه المقدم ذكره ثم قال ماءك بإضافة الماء إلى الأرض على سبيل المجاز تشبيها لاتصال الماء بالأرض باتصال الملك بالمالك. واستعار لحبس المطر الإقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم ما كان. وخاطب في الأمرين ترشيحا للاستعارة. ولم يصرّح بالغائض والقاضي والمسوي والقائل. كما لم يصرّح بقائل يا أرض ويا سماء سلوكا في كلّ واحد من ذلك سبيل الكناية أن تلك الأمور العظام لا تتأتى إلا من ذي قدرة، فلا مجال لذهاب الوهم إلى أن يكون الفاعل لشيء من ذلك غيره. ثمّ ختم الكلام بالتعريض لسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل ظلما لأنفسهم ختمَ إظهارٍ لمكان السخط ولجهة استحقاقهم إياه.

النظر فيها من حيث علم المعاني

وهو النظر في فائدة كلّ كلمة فيها وجهة كلّ تقديم وتأخير بين جملتها، فذلك أنّه اختير "يا" دون سائر أخواتها من النداء لكونها أكثر استعمالا ولدلالتها على بعد المنادى الذي يستدعيه مقام إظهار العظمة ويؤذن بالتهاون به ولم يقل يا أرض بالكسر تجنبا لإضافة التشريف تأكيدا للتهاون، ولم يقل يا أيتها الأرض للاختصار مع الاحتراز عمّا في أيّتها من تكلّف التنبيه غير المناسب للمقام لكون المخاطب غير صالح للتنبيه على الحقيقة.

واختير لفظ الأرض دون سائر أسمائها، لكونه أخفّ وأدورَ. واختير لفظ السّماء لمثل ذلك مع قصد المطابقة. واختير ابلعي على ابتلعي لكونه أخصر ولمجيء حظ التجانس بينه وبين أقلعي أوفر.

وقيل ماءك بالإفراد دون الجمع لدلالة الجمع على الاستكثار الذي يأباه مقام إظهار الكبرياء، وهو الوجه في إفراد الأرض والسماء.

ولم يحذف مفعول ابلعي لئلا يفهم ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتّلال والبحار وغيرها، نظرا إلى مقام ورود الأمر الذي هو مقام عظمة وكبرياء.

ثمّ إذ بيّن المراد اختصر الكلام على أقلعي فلم يقل أقلعي عن إرسال الماء احترازا عن الحشو المستغنى عنه من حيث الظاهر، وهو الوجه في أنّه لم يقل يا أرض ابلعي ماءك فبلعت ويا سماء أقلعي فأقلعت.

واختير غيض الماء على غيض المشددة لكونه أخصر وأخف وأوفق لقيل. وقيل الماء دون أن يقال ماء طوفان السّماء وكذا الأمر دون أن يقال أمر نوح للاختصار.

ولم يقل سويت على الجودي، بمعنى أقرّت على نحو قيل وغيض وقضي في البناء للمفعول، اعتبار لبناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله وهي تجري بهم مع قصد الاختصار.

ثمّ قيل بعدا للقوم دون أن يقال ليبعد القوم طلبا للتوكيد مع الاختصار.

ثمّ وهو نزول بعدا منزلة ليبعدوا بعدا مع إفادة أخرى وهي استعمال اللام مع بعدا الدال على معنى أن البعد حق لهم ثم أطلق الظلم ليتناول كل نوع حتى يدخل فيه ظلمهم لأنفسهم بتكذيب الرسلّ.

النظر إلى ترتيب الجمل

فذلك أنّه قدّم النداء على الأمر فقيل **يا أرض ابلعي ويا سماء اقلعي** دون أن يقال **ابلعي يا أرض وأقلعي يا سماء**. جريا على مقتضى اللاّزم فيمن كان مأمورا حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكّن الأمر الوارد عقيبه في نفس المنادى، قصدا بذلك لمعنى الترشيح. ثمّ قدّم أمر الأرض على أمر السّماء لابتداء الطوفان منها ونزولها لذلك في القصّة منزلة الأصل. ثمّ أتبعهما قوله **وغيض الماء** لاتصاله بقصّة الماء. ثمّ أتبعه ما هو المقصود من القصّة وهو قوله **وقضي الأمر** أن أنجز الوعد من إهلاك الكفرة وإنجاء نوح ومن معه في السفينة. ثمّ أتبعه حديث السّفينة ثم ختمت القصة بما ختمت هذا كله نظر في الآية من جانب البلاغة.

وأمّا النظر فيها من جانب الفصاحة المعنوية فهي كما ترى نظم للمعاني لطيف وتأدية لها ملخصة مبينة لا تعقيد يعثر الفكر في طلب المراد ولا التواء يشيك الطريق إلى المرتاد بل ألفاظها تسابق معانيها ومعانيها تسابق ألفاظها.

النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية

فألفاظها على ما ترى عربية مستعملة، جارية على قوانين اللّغة، سليمة عن التنافر، بعيدة عن البشاعة، عذبة على العذبات، سلسلة على الأسلات، كلّ منها كالماء في السّلاسة، وكالعسل في الحلاوة، وكالنّسيم في الرقّة.

المحاضرة الثانية عشر

التأويل:[1]

التأوّيل يرجع في أصله المعجمي[2] إلى الجذر الثلاثي "أوَلَ" المتكوّن من الهمزة والواو واللاّم والذي يشير في معناه العام إلى ابْتِدَاء الْأَمْرِ وَانْتِهَائه. ومنه آلَ يَؤُولُ بمعنى رَجَعَ من أوّلَ الْحُكْمَ إِلَى أَهْلِه، بمعنى أرْجَعَهُ وَرَدَّهُ إِلَيْهِم. ومنه آل الشيء إلى حال ما، بمعنى يرجع إلى تلك الحال. والإِيَالَةُ السِّيَاسَةُ لأنّ مَرْجعَ الرَّعِيَّةِ إِلَى رَاعِيهَا. ومنه القول "**آلَ الرَّجُلُ رَعِيَّتَهُ يَؤُولُهَا**"، إِذَا أحْسَنَ سِيَاسَتَهَا. ومن أمثال اللّغة "**أُلْنَا وَإِيلَ عَلَيْنَا**" بمعنى سُسْنَا وَسَاسَنَا غَيْرُنَا. وَرَجُلٌ آيِلُ مَالٍ أيْ سَائِسُهُ. وَمِنْ هَذَا الْبَابِ تَأْوِيلُ الْكَلَامِ، وَهُوَ عَاقِبَتُهُ وَمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ.

وفي اللّغة هو التّرجيع، وفي الشّرع صرف الآية عن معناها الظّاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا بالكتاب والسنّة، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾.[3] إن أراد إخراج الطير من البيضة كان تفسيرا. وإن أراد به إخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويلا.

---

[1] ينظر علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى1405ه ص72. القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تحقيق حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى1421ه/2000م ج1 ص180. موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن أبو منصور ابن الجواليقي، شرح أدب الكاتب، قدّمَ له مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي بيروت ص37. التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور ج11 ص86/ج12 ص20. صلاح عبد الفتاح الخالدي، التفسير والتأويل في القرآن، دار النفائس الأردن، الطبعة الأولى1416 هـ/1996م ص44.

[2] ينظر أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة (باب الهمزة مع الواو)، تحقيق عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر1399هـ/1979م ج1 ص158.

[3] سورة الأنعام95.

وقد عمل علماء اللّغة على التفريق بين التأويل والتفسير، في كون التفسير هو من الفسر؛ أي الكشف والإظهار فيراد به كشف لا شبهة فيه وهو القطع بالمراد. وفي الشّرع توضيح معنى الآية وشأنها وقصّتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدلّ عليه دلالة ظاهره. أمّا التأويل عندهم فهو اعتبار دليل يصير المعنى به أغلب على الظنّ من المعنى الظّاهر ولهذا لا يحرّم تأويل القرآن بالرّأي، لأنه الظنّ بالمراد وحمل الكلام على غير الظاهر بلا جزم. وقريب من ذلك أنّ التأويل بيان أحد محتملات اللّفظ والتفسير بيان مراد المتكلّم.

ويطلق التأويل على اتّضاح ما خفي من معنى لفظ أو إشارة. على إرجاع الشيء إلى حقيقته ودليله. فتأويل الأحاديث هو إرجاع الحوادث إلى عللها وأسبابها بإدراك حقائقها على التّمام، وهو المعنى بالحكمة، وذلك بالاستدلال بأصناف الموجودات على قدرة الله وحكمته. فالتأويل بذلك هو تعبير الرؤيا والكلام.

وورد لفظ التأويل في عديد آيات القرآن الكريم، سبع عشرة مرّة، وكان بشكل أكبر في سورة يوسف حيث ذكر ثماني مرّات. ولعلّ الحكمة اللطيفة في هذا، أنّ سورة يوسف ذكرت قصة يوسف عليه الصلاة والسلام من بدايتها إلى نهايتها. حيث بدأت بالحديث عن رؤيا رآها يوسف عليه الصلاة والسلام في المنام وهو صغير، ثم تتابعت أحداث قصته عشرات السّنين، مرّ فيها يوسف عليه السلام بعديد العقبات والمفاجآت والتطورات، وختمت قصته في آخر آيات السّورة، بتحقّق الرؤيا، ووجودها في عالم الواقع. ثمّ إنّ الله خصّ يوسف عليه الصلاة والسّلام بالقدرة على تأويل الأحاديث وتعبير الرؤيا، وعرضت السورة أمثلة لرؤي وأحاديث أوّلها يوسف عليه السلام.

واللّطيف في الأمر أنّ آيات سورة يوسف ذكرت لنا ثلاث رؤي منامية، وذكرت لنا تأويلها:

الرؤيا الأولى: رؤيا يوسف وهو صغير سجود الكواكب له ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾.[1] **مآل الرؤيا**: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.[2]

الرمز	تأويله	الرابط بينهما
أحد عشر كوكبا	إخوته	السجود
الشمس	الأب	
القمر	الأم	

الرؤيا الثانية: رؤيا كلّ من الشخصين السجينين، اللذين كانا مع يوسف عليه السلام: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.[3] **تأويل يوسف**: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ ۚ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾.[4]

الرمز	تأويله	الرابط بينهما
أعصر خمرا	يسقي ربه خمرا	الخمر
أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه	يصلب فتأكل الطير من رأسه	الأكل

[1] سور يوسف4.
[2] سورة يوسف100.
[3] سورة يوسف36.
[4] سورة يوسف41.

الرؤيا الثالثة: رؤيا الملك للبقرات السمان والعجاف: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ۖ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾.[1] ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.[2] **تأويل يوسف**: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾. ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾.[3]

الرمز	تأويله	الرابط بينهما
سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف	سبع سنين فيها خير و سبع أخرى شداد يأكلن ما سبق	الرعية والانتاج والادخار وحسن التصرف
سبع سنبلات خضر وأخر يابسات		

فالملاحظ للآيات الثلاث التي جاءت في سورة يوسف عليه السلام، يجد فيها اعتمادا واضحا على رموز الطبيعة، للإشارة إلى ما يقابلها من معان. فالآية الأولى، اعتمدت على الكواكب والشمس والقمر، حيث جاء تأويلها فيما بعد بمقابلة الكواكب لأخوته والشمس والقمر لوالديه. أمّا الآية الثانية، فعصير الخمر والخبز الذي تأكل منه الطير. والآية الثالثة، البقرات السمان والعجاف والسنبلات والخضر واليابسات. وكلّ رمز قابله يوسف عليه السلام بما يرجع إليه.

[1] سورة يوسف43.
[2] سورة يوسف46.
[3] سورة يوسف47و48.

فالسّورة كلّها تقوم على تأويل الأحاديث وتعبير الرؤي والمنامات، وتظهر علم يوسف الخاصّ بهذا التأويل.

المحاضرة الثالثة عشر

الملاحن:[1]

جاء في كتاب المفردات في غريب القرآن[2]، أنّ اللّحْنُ هو صرف الكلام عن سننه الجاري عليه، إمّا بإزالة الإعراب، أو التّصحيف، وهو المذموم، وذلك أكثر استعمالا، وإمّا بإزالته عن التّصريح وصرفه بمعناه إلى تعريض وفحوى، وهو محمود عند أكثر الأدباء من حيث البلاغة، ومنه قيل للفطن بما يقتضي فحوى الكلام: لحن، وفي الحديث: **[لعلّ بعضكم ألحن بحجّته من بعض]**.[3] بمعنى ألسن وأفصح، وأبين كلاما وأقدر على الحجّة.

وذلك أن أصل اللّحن أن تريد الشيء فتورِّي عنه بقول آخر، كقول أحد الأسرى حين سأل من يأسرونه رسولاً إلى قومه فقالوا: **لا نرسل إلا بحضرتنا لأنّهم كانوا أزمعوا غزو قومه، فخافوا أن ينذر عليهم، فجيء بعبد أسود، فقال له: أتعقل؟ قال: نعم إني لعاقل، قال: ما أراك عاقلاً، قال: بلى قال ما هذا؟ وأشار بيده إلى الليل. قال: هذا الليل. قال: أراك عاقلاً. ثم ملأ كفّه من الرّمل. فقال: كم هذا؟ فقال: لا أدري وإنه لكثير. فقال: أيما أكثر النجوم أو الديران؟ فقال كلّ كثير. قال: أبلغ قومي التحيّة، وقل لهم: ليكرموا "فلاناً"**.

---

[1] ينظر أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد الأزدي، الملاحن (مطبوع ضمن «درة الغواص وشرحها وحواشيها وتكملتها»)، تنبيه: الكتاب غير متعلق بـ «درة الغواص» لكن ألحقه المحقق بالمطبوع، وقال: لأنه «يدور في تلك الحلقة التي تبين أسرار جمال اللغة وبعد مراميها»، تحقيق عبد الحفيظ فرغلي علي قرني، دار الجيل بيروت لبنان، الطبعة الأولى1417هـ/1996م ص924.

[2] أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم والدار الشامية دمشق وبيروت الطبعة الأولى1412هـ ص738.

[3] محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري (باب من أقام البيّنة بعد اليمين) ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة الطبعة الأولى1422هـ ج3 ص180.

يعني أسير كان في أيديهم من بكر. فإنّ قومه لي مكرمون، وقل لهم: إنّ العرفج قد أدبي، وقد شكت النّساء، ومرهم أن يُعَرُّوا ناقتي الحمراء فقد أطالوا ركوبها وأن يركبوا جملي الأصهب بآية ما أكلت لكم حيساً واسألوا "الحارث" عن خبري.

فلما أدى العبد إليهم الرسالة قالوا: قد جنّ الأعور، والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملاً أصهب، ثم سرَّحوا العبد، ودعوا "الحرث" فقصوا عليه القصة، فقال: قد أنذركم.

أما قوله: أدبي العرفج، يريد أن الرجال قد اسلَمُوا ولبسوا السلاح، وقوله: شكت النساء، أي اتخذت الشكا للسفر، وقوله: الناقة الحمراء. أي ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصمان وهو الجمل الأصهب، وقوله: أكلت معكم حيساً، يريد أخلاطاً من الناس قد غزوكم، لأنّ الحيس يجمع التمر والسمن والأقط. فامتثلوا ما قال، وعرفوا لحن كلامه.

وقيل لمعاوية إن عبد الله بن زياد يلحن في كلامه فقال: أو ليس بظريف؟ ابن أخي يتكلم بالفارسية. ظن معاوية أنّ الكلام بالفارسيّة لحنا إذا كان معدولاً عن جهة العربية، وقال "الفزاري":

وحديث ألذه هـــو مما***ينعت النـــاعتون يوزن وزنا

منطق صائب ويلحن أحيانا***وخير الحديث مـا كان لحنا

يريد أنها تعرض حديثها فتزيله عن جهته، فجعل ذلك لحناً، فأمّا اللّحن في العربية فهو راجع إلى هذا لأنّك إذا قلت: ضرب عبد الله زيد، لم يدر أيهما الضارب ولا المضروب، فكأنك قد عدلته عن جهته، فإذا أعربت عن معناك فهم عنك فسمي لحناً لأنه يخرج على نحوين وتحته معنيان.

المثال الأول: **والله ما رأيت فلاناً قط ولا كلمته**. فمعنى رأيته: ضربت رئته، ومعنى كلمته: جرحته. كقول الشاعر:

يفدي بأمّيه العرادة بعدما***نجا وضواحي جلده لم تكلم

أي لم تجرح. العرادة اسم فرسه، وضواحي جلده: ما ظهر منه أي جوانبها، ولم تكلم: لم تجرح، ويعني بأميه أمه وخالته. ومن ذلك رثاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم قائلا:

أجدك ما لعينك لا تنام***كأن جفونها فيها كلام

المثال الثاني: القول: والله ما بطنت فلاناً، أي ما ضربت بطنه. ومنه قول الراجز:

إذا ضربت موقرا فابطن له***فوق قصيراء ودون الجلة.

أي اضرب بطنه.[1]

المثال الثالث: القول: **والله ما أعلمت فلاناً ولا أعلمني**، أي ما جعلته أعلم: ما شققت شفته العليا.

المثال الرابع: القول: **والله ما نصح فلان فلاناً ولا يحسن أن ينصح**، والنصح: الخياطة، والمنصحة: الإبرة، والنصاح: الخيط الذي يخاط به.

المثال الخامس: القول: **والله ما أخذت لفلان رداء ولا أملك رداء**، والرداء: السيف.

المثال السادس: القول: **والله ما ظلمت فلاناً ولا غيره**، أي ما سقيته ظلماً، وهو اللّبن قبل أن يروب.

[1] ينظر محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور تهذيب اللغة (باب الطاء والنون)، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى2001م ج13 ص251.

المثال السابع: القول: **والله ما رأيت سعداً ولا سعيداً**. فالسعد من سعود النجوم، والسعيد: النهر الذي يسقي الأرض منفرداً بها، تقول: هذا سعيد هذه الأرض أي نهرها.

المثال الثامن: القول: **والله ما رأيت من هؤلاء القوم كافراً ولا فاسقاً**، فالكافر الذي قد تغطى بثيابه أو سلاحه، والفاسق الذي قد تجرد من ثيابه. من قولهم: انفسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها.

المثال التاسع: القول: **والله ما أمرت ولا أحببت**. فأمرت صرت أميراً، وأحببت من قولهم: أحب البعير إذا برك ولم يثر.

المثال العاشر: القول: **والله ما عصى فلاناً ولا خلع**. قوله: ما عصا أي لم يضرب بالعصا وخلع: لم يخلع ثوبه.

المثال الحادي عشر: القول: **والله ما عرفت لفلان نخلاً ولا شجراً**. فالنخل مصدر نخلت الشيء أنخله نخلاً، ولا شجر من قولهم: تشاجر القوم إذا اختلفوا، وفي التنزيل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.[1]

المثال الثاني عشر: القول: **والله ما شتمت فلاناً ولا شتمني**، أي لم أقل له: إنك شتيم الوجه، والشتيم: القبيح.

[1] سورة النّساء65.

المحاضرة الرابعة عشر

التعريض:[1]

بيان ماهية التعريض وذكر التفرقة بينه وبين الكناية التعريض عند أهل اللغة خلاف التصريح، يقال عرضت لفلان أو بفلان إذا قلت قولا وأنت تعنيه، ومنه المعاريض في الكلام، وفي أمثالهم (**إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب**) أرادوا أن المعاريض فيها سعة عن قصد الكذب وتعمده، واشتقاقه من قولهم عرض له كذا، إذا عنّ، لأن الواحد منا قد يعرض له أمر خلاف التصريح فيؤثره ويقصده.

والتعريض في مصطلح علماء البيان هو المعنى الحاصل عند اللّفظ لا به فإنّه حاصل بغير اللّفظ، وهو القرينة وإن شئت قلت في حدّه هو المعنى المدلول عليه بالقرينة دون اللّفظ، لأنّ التعريض إنّما حصل معقوله بالقرينة دون دلالة اللفظ، فالتعريض بذلك هو فنٌّ من فُنون القول غير المباشر يُعْتَمَدُ فيه غالباً على قرائن الحال لاَ على قرائن المقال، والتعريضُ أخفى من الكناية، لأنّ الكناية لا تقتصر قرائنها على قرائن الحال، بل لها من قرائن المقال ما يَدُلُّ على المراد بها. فينحلّ من مجموع ما ذكرناه أن دلالة اللّفظ على ما يدلّ عليه من المعاني على ثلاثة مراتب.

المرتبة الأولى: أن يكون ذلك حاصلا من جهة ملفوظه، وما هذا حاله يندرج تحته النصوص والظواهر، والألفاظ المؤوّلة، والحقائق المشتركة، وغير ذلك من الحقائق اللّفظيّة.

[1] ينظر فيما يتعلّق بـ(التعريض) كتابي يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية بيروت، الطبعة الأولى1423هـ ج1 ص192. وعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، البلاغة العربية، دار القلم دمشق والدار الشامية بيروت، الطبعة الأولى1416هـ/1996م ج2 ص152.

المرتبة الثانية: أن يكون ذلك المعنى حاصلا من جهة المفهوم، ثمّ ينقسم إلى مفهوم الموافقة، وإلى مفهوم المخالفة، فما وافق اللّفظ في دلالته على ما يدل، فهو الموافق، وهذا كقول صاحب الشريعة صلوات الله عليه "إذا وقع الحيوان في السمن أريق المائع وقوّر ما حول الجامد فإنّ العسل وسائر المائعات مثله. **«أنّ فأرةً وقعت في سمنٍ فماتت. فسئل النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ عنها فقال: ألقوها وما حولها وكلوه»**.[1]

وما خالف اللّفظ في دلالته فهو المخالف مثلما جاء حديثه عليه الصّلاة والسّلام في زكاة سائمة الغنم فمفهومه أن لا زكاة في المعلوفة. والنص مأخوذ من كتاب لأبي بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي فَرِيضَةِ الصَّدَقَةِ الَّتِي فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَالَ فِيهِ: (**وَصَدَقَةُ الْغَنَمِ فِي سَائِمَتِهَا**). وَيُرْوَى عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**أَنْ لَيْسَ فِي الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ الْعَوَامِلِ صَدَقَةٌ**).[2] وكما هو معلوم فالسائمة هي التي تترك لترعى في الخارج، بينما العوامل فهي التي يعتمد عليها في الحرث وما شابه ذلك من عمل وبذلك فهي تعتمد على العلف الذي يقدّمه لها صاحبها فأغلب وقتها للعمل. مثلها مثل التي يعلفها صاحبها بغية بيعها.

والمفهوم على درجات مختلفة وأحوال متفاوتة في الجلاء والظهور والخفاء.

المرتبة الثالثة: ما كان من معقول اللفظ، ويندرج تحت هذا جميع الاستنباطات الفقهية التي أخذت من غير ظاهر اللّفظ، فإذا حُرِّمَ الخمر بنص فإنا نحرم غيرها بجامع

---

[1] محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري (بابُ إِذَا وَقَعَتِ الفَأْرَةُ فِي السَّمْنِ الجَامِدِ أَوِ الذَّائِبِ) الحديث رقم 5538 والحديث رقم 5539) ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى 1422هـ ج7 ص97. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، المحلى بالآثار (مَسْأَلَةٌ السَّمْنُ الذَّائِبُ يَقَعُ فِيهِ الْفَأْرُ) دار الفكر بيروت ج6 ص116.

[2] أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، معرفة السنن والآثار، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية كراتشي باكستان ودار قتيبة دمشق وبيروت ودار الوعي حلب دمشق ودار الوفاء المنصورة القاهرة، الطبعة الأولى1412ه/1991م ج6 ص87.

الشدة والسكر، بمعقول اللفظ ودلالته عند ورود التعبّد بالقياس، فهذه دلائل الألفاظ، فأما التعريض فليس يفهم من جهة اللفظ، ولكنه مدلول عليه بالقرينة ولنذكر له مثالين.

المثال الأول: التعريض في خطبة النكاح، كما أشار إليه تعالى في قوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ .[1]

والتعريض في خطبة المرأة أنْ يتكلّم الخاطب بكلام يشبه خطبتها دون تصريح. وهذا كقوله للمرأة أحوالك جميلة، وإني لمحتاج إلى ما آنس به، فهذا وأمثاله مما لا يدل على النكاح بحقيقته، ولا بمجازه، ولا من جهة ظاهره، ولا من جهة مفهومه، وإنما هو حاصل من جهة القرينة وأحوال الشمائل والشيم. ونظير هذا أن يقول الشّابّ الرّاغب في الزّواج لوالديه ابنة عمّي صارت ناضجة ومناسبةً لمن يخطبُها، تعريضاً بأنّه يريد أن يتزوّج ولا مانع لديه من خطبتها له.

المثال الثاني: قولك لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب (**والله إني لفقير، وإني لمحتاج وما في يدي شيء، وإني عريان، والبرد قد آذاني**). فهذا وأمثاله **تعريض بالطلب**، وليس دلالته على الطلب لا من جهة حقيقته، ولا من جهة مجازه، كما أشرنا إليه، ومن ثم قيل له تعريض، لما كان المعنى منه مفهوما من عرضه، أي جانبه، وعرض كلّ شيء جانبه، وهو كثير الدور في الكلام، وله مدخل في البلاغة وموقع عظيم.

[1] سورة البقرة 235.

فإذا تمهدت هذه القاعدة فلنذكر أمثلة التعريض، ثمّ نردفه بذكر التفرقة بينه وبين الكناية فهذان مقصدان نوضحهما بعون الله تعالى.

المقصد الأول في بيان أمثلته ونقتصر من الأمثلة على ضروب خمسة

الضرب الأول منها ما ورد في القرآن: ﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ . ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ .[1] فإنما أورد إبراهيم صلوات الله عليه هذا الكلام على جهة التهكّم والاستهزاء والسخرية بعقولهم، وذلك يكون من وجهين، أحدهما أنّه لم يرد نسبة الفعل إلى كبير الأصنام، وإنّما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على رمز خفي، ومسلك تعريض، يبلغ به إلزام الحجّة لهم، والتسفيه لحلومهم، كأنّه يقال يا ضعفاء العقول ويا جهّال البريّة، كيف تعبدون ما لا يجيب إن سئل، ولا ينطق إن كلّم وتجعلونه شريكا لمن له الخلق والأمر. ولذلك يُخرج التعريض من دائرة الكذب، لأنه إذا أخذ على ظاهره وهو ما قد يفهم عند بعض ضعاف العقول أو من لهم هدف تشويهي لمعنى الآية سيقولون بأنّ إبراهيم عليه السلام قد لجأ إلى الكذب والتحايل ليبعد الشبهة عنه ويلبسها لكبير الأصنام، لكن هو في هذه الحالة مستعمل لأسلوب من أساليب الاستهزاء والتهكّم لأنّه قد أقرّ بتحطيم الأصنام في سياق سابق ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾.[2] وثانيهما أن يقال إن كبير الأصنام غضب لما عبد معه غيره من هذه الأصنام الصغار، فكسرها على جهة التخيل والتمثيل، وغرض إبراهيم بذلك أن يعرض بهم في كونهم قد أشركوا في العبادة من هو دون الله، وأن من دونه مخلوق حقير من مخلوقاته، فوضع هذا الكلام لفاحش ما أتوا به وعظيم ما تلبسوا به من عبادة غير الله.

[1] سورة الأنبياء62، 63.
[2] سورة الأنبياء57.

ومن التعريض في القرآن كذلك قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾.[1] فهذه الآية كلّها موضعها في قصدهم واعتقادهم موضع التعريض بأنهم أحقّ بالنبوة، وأنّ نوحا لم يكن متميّزا عليهم بحالة يجب لأجلها أن يكون نبيّا من بينهم ورأيهم في ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى لو أراد أن يجعل النبوّة في أحد من البشر، لكانوا أحق بها دونه. وكأنّ سؤالهم لماذا أنتم ولسنا نحن؟

ومن التعريض في القرآن كذلك خطاب الله سبحانه وتعالى إلى رسوله ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.[2] فمن المعلوم في أصول الدّين أنّ الرَّسُولَ الّذِي يصطفيه الله لتبليغ رسالته للنّاس، لا بدّ أن يكون معصوماً عن أن يشرك بالله شيئاً بمفهوم الاصطفاء على دقّته والخطاب في هذه الآية هو خطابٌ بصريح العبارة وظاهرها إلى الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وهُوَ في باطنه تَعْرِيضُ لكِلّ من آمَنَ به واتّبَعَهُ أنْ يَحْذَروا من الشِّرْكِ لئلاّ تحبَطَ أعْمالُهُمْ ويكونوا من الخاسرين. وهذا التعريضُ أبْلَغُ منْ مواجَهة غير الرسول بصريح الخطاب، وذلك لأنّ الرسول إذا كان لا يَمْلك لنفسه عند ربّه الحماية من أن يَحْبَطَ عملُه ويكونَ من الخاسِرين إذا أشرك، وهو ذو المكانة العالية عند ربّه والمحظوظ بالاصطفاء، فكيف يكون حال سائر النّاس ليس لهم عند ربّهم مثل ذلك.

[1] سورة هود27.
[2] سورة الزمر65.

ومن القرآن كذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ .[1] ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ .[2] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ .[3] ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .[4] ﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .[5] ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .[6] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ .[7] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ .[8]

[1] سورة الرعد19.
[2] سورة إبراهيم52.
[3] سورة ص43.
[4] سورة
[5] سورة النحل11.
[6] سورة الجاثية13.
[7] سورة الأنعام97.
[8] سورة الأنعام98.

في هذه النُّصوص تعريض بالكافرين الذين لا ينتفعون من آيات الله في كونه، وآياته في بياناته، بأنّهم لا ألباب لهم، وبأنّهم لا يتفكّرون، وبأنّهم لا يفقهون، دون أن تكون هذه المعاني منصوصاً عليها، لكنّها تُفْهَمُ إلماحاً.

مثال آخر من أمثلة التعريض الذي جاء في آيات القرآن الكريم هو قوله تعالى:

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾.[1] فالإشارة بالقول بأنّ "نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً" لم يُقْصَدْ مِنْها إعْلامُ المنافقين المخلَّفينَ عن رسول الله في غزوة تبوك، بأنَّ نار جهنَّمَ أشد حَرّاً من حرارة الفصل الصيفي الذي خرج فيه الرّسول صلى الله عليه وسلّم والمؤمنون إلى غزوة تبوك، فهذا أمْرٌ واضحٌ، لكنّ المقصود التعريض بأنَّ هؤلاء المنافقين هم من أهل جهَنَّمَ الّتي تَكْويهم بحرّها يوم الدّين.

ومن التعريض كذلك دُعَاءُ مُوسَى عليه السلام عند ماء مَدْيَنَ إذْ خرج من مصر خائفاً يترقّبُ، وهو ما جاء بيانه في سورة ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾. ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.[2]

نُلاحظ في دعاء موسَى عليه السلام بقوله "رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ" احتمال التعريض بحاجته إلى المأوى والرّزق والزّوجة، ورأى أنّ الله قد ساق له مقدّمات ما هو بحاجة إليه فقال "رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ" بصيغة الفعل الماضي ولم يَقُل لما سَتُنْزِل، إذْ

[1] سورة التوبة81.
[2] سورة القصص23و24.

شَعَر أنّ بشائر ما هو مفتقر له قد ظهرت بفرحة المرأتين به لمّا سقَى لهما، وعَلِمَ أنّ أباهما شيخٌ كبير يحتاج إلى معين رجل. لذلك جاء في النصّ بعد حكاية دُعائه قول الله تعالى ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.[1] فدلّت الفاء العاطفة على الترتيب مع التعقيب، وفي هذا إشعارٌ بأنّ الله استجاب له دُعاءه الذي دَعا به تعريضاً لاَ تصريحاً. وتضمّنَت القصّة بعد ذلك تحقيق ما هو مفتقر إليه، فأوى عند أبيهما الشيخ الكبير، وأصاب رزقاً، وزوجةً صالحة.

ومن التعريض ما جاء في قوله تعالى ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.[2] ففي عبارة "وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ" تَعْرِيضٌ بارْتفاعِ مُحَمّد خاتم الرُّسُلِ دَرَجَاتٍ على سائر الرُّسل، ولمْ يَأتِ هذا البيان بعبارةٍ صريحةٍ فيها نصٌّ على ارتفاع منزلته فوق سائر الأنبياء والمرسَلين تعليماً للمسلمين أن يتأدّبوا مع جميع الرُّسل ولا يَتَّخِذُ من أفضليّة محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذريعةً للتنافُسِ والتفاخُرِ به على سائر الأمم، فمثل هذا قد يولّد شقاقاً، ويَصُدُّ أتباع الرّسُل السّابقين عن اتّباع محمّد خاتم المرسلين.

الضرب الثاني ما ورد من السنة النبوية:

[1] سورة القصص25.
[2] سورة البقرة253.

فمن ذلك أنّ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام خرج يوما وهو محتضن أحد ابني ابنته فقال لهما (**وإنكم لمن ريحان الله وإن آخر وطأة وطئها الله بوج**).[1] فهذا الكلام وأمثاله أورده على جهة التعريض لغيره، وأقامه مقامه. فوضع قوله إنكما من ريحان الله موضع الرحمة بهما والشّفقة والحنوّ والعطف عليهما، وإعظام المنزلة عنده لهما، فعرض به عن ذلك، ثمّ وضع قوله وإنّ آخر وطأة وطئها الله بوج، موضع تأسّف على مُفَارقَة أوْلاَده لقرب وَفَاته ونعي لنفسه والتعزية لها، ووجه التعريض، هو أن وجا موضع أو واد بالطائف، وأراد به غزاة حنين، لأنّها آخر غزوة وقع فيها القتال مع المشركين، فأما غزوة تبوك، والطائف، اللّتان كانتا بعدها فلم يكن فيهما قتال، وإنما كان خروج من غير ملاقاة للحرب، فكلّ هذا الكلام تعريض بقرب وفاته وتأسّف على مفارقة أولاده، لأنّ غزوة حنين كانت في شوّال سنة ثمان، ووفاته كانت في ربيع الأول من سنة إحدى عشرة فكأنه قال إنكما لمن رزق الله الذى يستراح به، وتقر به النفس، وإنّي مفارقكم عن قريب، فانظر إلى هذا التعريض، ما أحسن مغزاه وأدقّ في البلاغة مجراه، وكم في السنّة النبويّة من هذه اللّطائف العجيبة، والأسرار الدّقيقة والرّموز الخفية.

الضرب الثالث كلام أمير المؤمنين كرم الله وجهه قال في كلام يخاطب به زياد ابن أبيه، وكان عاملا لعامله عبد الله بن عباس على فارس وكرمان، وكور الأهواز (**وإني أقسم بالله قسما صادقا لئن بلغني أنك خنت من فيء المسلمين شيئا صغيرا أو كبيرا لأشدن عليك شدة، تدعك قليل الوفر، ثقيل الظهر، ضئيل الأمر، والسلام**). فهذا كما

[1] جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة لبنان الطبعة الثانية ج1 ص186.أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، تحقيق مركز خدمة السنة والسيرة بإشراف د زهير بن ناصر الناصر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة ومركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالمدينة، الطبعة الأولى1415هـ/1994م ج16 ص929.

يحتمل أن يكون على ظاهره فإنه يحتمل أيضا أن يكون قد أخرجه مخرج التعريض فيما كان منه من الانتساب إلى أبى سفيان وتهديدا له على ذلك، فأوقعه موقعه.

الضرب الرابع ما ورد في كلام البلغاء من التعريض يقال أن مروان بن الحكم كان واليا على المدينة من قبل معاوية، فعزله، فلمّا قدم عليه قال: عزلتك لثلاث، لو لم تكن إلا واحدة لأوجبت عزلك، إحداهن أنى أمرتك على عبد الله بن عامر، وبينكما ما بينكما، فلم تستطع أن تشتقى منه، والثانية منهن كراهتك أمر زياد، والثالثة أن ابنتي "رملة" استعدتك على زوجها عمرو بن عثمان، فلم تعدها، فقال له مروان: أمّا عبد الله ابن عامر، فإني لا أنتصر عليه في سلطاني، ولكن إذا تساوت الأقدام علم أين موضعه، وأما كراهتي أمر زياد، فإن سائر بنى أمية كرهوه، وأما استعداء "رملة" على عمرو بن عثمان، فو الله إنه ليأتي على سنة وعندي بنت عثمان فما أكشف لها ثوبا، يريد أن "رملة" بنت معاوية، إنما استعدت لطلب الجماع. فقال معاوية يا بن الوزغ، لست هناك، فقال له مروان هو ذاك. وهذا من التعريضات اللطيفة الآخذة من حسن الملاطفة بحظ وافر.

وألطف منها وأدخل في الرّشاقة ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وذلك أنه كان يوم الجمعة، فدخل عثمان بن عفان فقال له عمر: **أي ساعة هذه** فقال له عثمان: يا أمير المؤمنين انقلبت من السوق فسمعت النداء فما زدت على أن توضأت، فقال عمر: والوضوء أيضا، وقد علمت أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يأمر بالغسل. فقوله أي ساعة هذه، تعريض بالإنكار عليه، لتأخره عن الحضور للصلاة، وترك السبق إليها، وإنما من حسن الأدب والإنصاف لفي أحسن موقع.

ومن التعريض اللطيف ما روى عن امرأة أنها وقفت على قيس بن سعد فقالت: **أشكو إليك قلّة الفأر في بيتي**. فقال: ما أحسن ما وردت عن حاجتها، املأوا لها بيتها خبزا وسمنا ولحما.

ويحكى أن عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك بن مروان، فقالت له: يا أمير المؤمنين **مشت جرذان بيتي على العصى**. فقال لها ألطفت في السؤال، لا جرم لأردنها تثب وثب الفهود، وملأ بيتها حبا.

الضرب الخامس فيما ورد من التعريضات الشعرية فمن ذلك ما قاله الشميذر الحارثي:

بني عمنا لا تذكروا الشعر بعد ما***دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

فليس قصده ممّا قال الأبيات الشعريّة، ولكنّه قصد تعريفهم بما كان جرى في ذلك الموضع من الظهور عليهم والقتل لأشرافهم، فذكر الشعر، وجعله تعريضا، أي لا تفخروا بعد تلك الوقعة.

التعريض عند عموم الناس ويقول من يرى نظراتِ كيْدٍ وعداءٍ ممّن هو نِدٌّ له :جاءني اليوم بعض المنافسين وتطاوَلَ عليّ ببعض القول، فسلّطتُ عليه بعض رجالي، فأمطروهُ ضرباً ولَكْماً حتّى غاب عن وعيه، ولمّا علم أهله بأمره جاءوا فحملوهُ مريضاً يئنُّ من الألم، تعريضاً للمخاطب بأنّه إذا أراد التطاول عليه أنزل به مثل ذلك، فهو ذو عزوة وأنصار وقُدْرَة.

ويقول طالب وظيفة ذات راتب في الدولة، بحضور من يملك توظيفه، أو باستطاعته أن يتوسط له لدى من يملك توظيفه: أنا لا عمل عندي أكسب منه مالاً، وعندي من المؤهلات كذا، وعندي أسرة من خمسة أشخاص أنا مسؤول عن إعالتهم، تعريضاً بأن يوظفه أو يتوسط له.

التعريض العملي أو بالإشارة: الشرح التحليلي مع الأمثلة:

قد يتوسَّل الإنسان بالتعريض العملي لدلالة حاله. فقد يلبس الفقير المحتاج ثياباً مقطّعة، أو مرقّعة، دون أنْ يقول شيئاً، تعريضاً بأنّه من مستحِقّي الزّكاة، ويكتفي بدلالة الحال عن دلالة المقال، فيراه المتصدّقون فيبذلون له من زكوات أموالهم.

وكأن يأتي بعضُ أصحاب الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض الغزوات وقد ربط كلٌّ منهم على بطنه حجراً، تعريضاً بأن الجوع قد بلغ منه مبلغاً شديداً، فيكشف الرسولُ لهم عن بطنه، فيرون أنّه قد ربط حجرين.

وربّما حمل الْعُضْو في حزب من الأحزاب أو منظمة من المنظمات شعار الحزب أو المنظمة، تعريضاً بأنّه عضوٌ في ذلك الحزب، أو تلك المنظمة.

وربّما خرج البخيل من بيته وهو يخلّل أسنانه، تعريضاً بأنّه قد أكَلَ هو وأهله اللّحم الكثير، وقد يكون الواقع بخلاف ذلك.

بيان موقع التعريض يكون في الجمل المترادفة، والألفاظ المركبة، ولا يرد في الكلم المفردة بحال، والسر في ذلك هو أن دلالته على ما يدل عليه لم يكن من جهة الحقيقة، ولا من جهة المجاز، فيجوز وروده في الألفاظ المفردة والمركبة كما جاز في الحقائق، وكما جاز في المجازات ورودهما معا كالاستعارة، والتشبيه المضمر الأداة، والكناية، فإنما واردة في الأمرين جميعا، كما لخصناه من قبل، وإنما دلالته كانت من جهة القرينة، والتلويح والإشارة، وهذا لا يستقل به اللفظ المفرد، ولكنه إنما ينشأ من جهة التركيب، فلأجل هذا كان مختصا بالوقوع منه، لا يقال فإذا كان التعريض ليس مدلولا عليه باللفظ، لا مجازا ولا حقيقة، فأي مانع من اشتغالهم به في الكلم المفردة، كما كان في المركبة، فأي تفرقة بينهما في ذلك، لأنا نقول :هذا مردود من وجهين، أما أولا فلأن أمر الوضع موكول إلى اختيارهم، وموقوف على ما فهمناه من تصرفاتهم، فلأمر ما قصروه على

المركب لا غير، وأما ثانيا فلعل اللفظ المركب أدل على المقصود، وأوضح للمراد، ولا حرج عليهم في قصره عليه.

بيان التفرقة بينه وبين الكناية ويظهر ذلك من أوجه ثلاثة، أوّلها أنّ الكناية واقعة في المجاز، ومعدودة منه، بخلاف التعريض، فلا يعد منه، وذلك من أجل كون التعريض مفهوما من جهة القرينة، فلا تعلق له باللفظ، لا من جهة حقيقته، ولا من جهة مجازه، وثانيها هو أن الكناية كما تقع في المفرد، فقد تكون واقعة في المركب، بخلاف التعريض، فإنه لا موقع له في باب اللفظ المفرد كما مر بيانه، وثالثها أن التعريض أخفى من الكناية، لأن دلالة الكناية مدلول عليها من جهة اللفظ بطريق المجاز، بخلاف التعريض، فإنما دلالته من جهة القرينة.

والإشارة، ولا شك أن كل ما كان اللفظ يدل عليه، فهو أوضح مما يدل عليه اللفظ، وإن

علم بدلالة أخرى، ومن أجل هذا فرق علماء الشريعة بين صريح القذف وكنايته، وتعريضه، فأوجبوا في الصّريح من القذف الحد مطلقا في قولك: يا زاني. وأوجبوا في كنايته الحد إذا نوى به في مثل قولك :يا فاعلا بأمه، ويا مفعولا به، ولم يوجبوا في التعريض الحد في مثل قولك. يا ولد الحلال، وما ذاك إلا لأجل أن الصريح والكناية، يدلان على القذف من جهة اللفظ، إما بالحقيقة، أو بالمجاز، ويحكى عن الإمام الناصر أن رجلا قال لرجل بحضرته. يا ولد الحلال، فلم يحده، واعتذر بأنه لا حد في التعريض، فصار التعريض وإن لم يكن معدودا من المجاز، لكنه أخص من الكناية، ولهذا فإن كل تعريض كناية، وليس كل كناية بتعريض، فهي أعم منه، والكناية بالإضافة إلى الاستعارة خاصة، ولهذا فإن كل كناية فهي استعارة، وليس كل استعارة تكون كناية، لما كانت أخص منها، فأما التشبيه المضمر الأداة والاستعارة التي لا يظهر فيها مقصود التشبيه،

فهما نوعان لا يدخل أحدهما تحت الآخر، لكن التشبيه المضمر الأداة، يمكن اندراجه تحت التشبيه، لما كان التشبيه مقدرا فيه، ويمكن اندراجه تحت الاستعارة لما كان حرف التشبيه غير ظاهر فيه، فإذن حقيقته منحدرة إليهما كما ترى، وقد أسلفنا فيه قولا بالغا يطلع على السر والغاية ويفي بالمقصود وإحراز النهاية، ثم إنها مندرجة تحت المجاز، لأنها أنواعه وهو جنسها، فهذا ما أردنا ذكره في التعريض، وهو الفصل الثاني.

الأغراض البلاغية لاستخدام التعريض:

قد يتحقق باستخدام التعريض أغراض بلاغيةٌ تشبه الأغراض البلاغيَّة التي تتحقق باستخدام الكناية، وفي التعريض مزيد إخفاء يجعلُهُ أكثر قولاً حينما يكون التصريح مثيراً لغضبٍ، أو نقدٍ، أو اتّهام، أو عَذْلٍ وتَلْوِيم، أو يكشف أمراً يجب سَتْرُه عن الرُّقباء، فيقوم التعريض مقام الإلغاز والرَّمْزِ الخفيّ، وما يُسمَّى في اصطلاح الجيوش" الشيفرة."

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص

1) http://ghazali.org

2) ابن الوزير محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله عز الدين، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، الطبعة الثالثة 1415هـ/1994م.

3) ابن الوزير محمد بن إبراهيم، الرّوض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم (وعليه حواشٍ لجماعة من العلماء منهم الأمير الصّنعاني)، تقديم فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، اعتنى به علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

4) أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، شرح صحيح البخاري، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد السعودية الرياض، الطبعة الثانية1423هـ/2003م.

5) أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، باب الترغيب في قيام رمضان، دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة بيروت.

6) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت1900م.

7) أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب بيروت الطبعة الأول 1427هـ-2006م.

8) أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، تحقيق مركز خدمة السنة والسيرة بإشراف د زهير بن ناصر الناصر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة ومركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالمدينة، الطبعة الأولى1415هـ/1994م.

9) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم والدار الشامية دمشق وبيروت الطبعة الأولى1412هـ.

10)أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، باب البلوغ بالاحتلام الحديث رقم 11642، مؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة الأولى1344هـ.

11)أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، تفسير عبد الرزاق، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى1419ه.

12)أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى1422هـ/2001م.

13)أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة، الطبعة الثالثة 1413هـ/1992م.

14)أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد الأزدي، الملاحن (مطبوع ضمن «درة الغواص وشرحها وحواشيها وتكملتها»)، تنبيه: الكتاب غير متعلق بـ «درة الغواص» لكن ألحقه المحقق بالمطبوع، وقال: لأنه «يدور في تلك الحلقة التي تبين أسرار جمال اللغة وبعد مراميها»، تحقيق عبد الحفيظ فرغلي علي قرني، دار الجيل بيروت لبنان، الطبعة الأولى1417هـ /1996م.

15)أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي، معاني القرآن الكريم، تحقيق محمد علي الصابوني جامعة أم القرى مكة المكرمة، الطبعة الأولى1409ه.

16)أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني اللباب في علوم الكتاب، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى1419هـ/1998م.

17)أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دار الفكر.

18)أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، دار الكتاب العربي بيروت.

19)أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد على نجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة مصر.

20)أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى 1418هـ.

21)أبو عبد الله التيمي الرازي الملقّب بفخر الدين الرازي، المحصول، تحقيق طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة 1418ه/ 1997م.

22)أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، المستدرك على الصحيحين، الحديث رقم 6776 باب "ذكر زينب بنت جحش رضي الله عنها"، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى1990/1411.

23)أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية القاهرة، الطبعة الثانية1384ه/1964م.

24)أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، تفسير القرآن العزيز، تحقيق أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة القاهرة مصر، الطبعة الأولى1423هـ/2002م.

25)أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، شرح ديوان الحماسة، باب الأضياف في قول حجر بن خالد، تحقيق غريد الشيخ وإبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى1424هـ/2003م.

26)أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي محيي السنة، معالم التنزيل، تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة 1417هـ/1997م.

27)أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، المغني، مكتبة القاهرة 1388هـ/1968م.

28)أبي عمرو الشيباني، شرح المعلقات التسع، تحقيق وشرح عبد المجيد همو، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1422هـ/2001م.

29)أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثالثة1406.

30)أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، الأسماء والصفات، مكتبة السوادي جدة، الطبعة الأولى.

31)أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، معرفة السنن والآثار، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية كراتشي باكستان ودار قتيبة دمشق وبيروت ودار الوعي حلب دمشق ودار الوفاء المنصورة القاهرة، الطبعة الأولى1412ه/1991م.

32)أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص، أحكام القرآن، تحقيق محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي بيروت1405هـ.

33)أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب فضل من قام رمضان، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة بيروت1379ه،

34)أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر1399ه/1979م.

35)امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، ديوان امرئ القيس، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية1425ه/2004.

36)بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه الطبعة الأولى1376ه/1957م.

37)جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي بيروت1407ه.

38)جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة لبنان الطبعة الثانية.

39)جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعدالدين بن عمر القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم بيروت الطبعة الرابعة1998م.

40)جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب1394ه/1974م.

41)جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية مصر.

42)حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني أبو عبد الله، شرح المعلقات السبع، البيت 37 من معلّقة زهير بن أبي سلمى دار احياء التراث العربي، الطبعة الأولى1423ه/2002م.

43)الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله، الحجة في القراءات السبع، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق بيروت الطبعة الرابعة 1401ه.

44)خيرالدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، كتاب الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر 2002م.

45)سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، دار الشروق القاهرة.

46)شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق على عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت1415ه.

47)صلاح عبد الفتاح الخالدي، التفسير والتأويل في القرآن، دار النفائس الأردن، الطبعة الأولى1416 ه/1996م.

48)عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، البلاغة العربية، دار القلم دمشق والدار الشامية بيروت، الطبعة الأولى1416ه/1996م.

49)عبد بن حمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسرّ العربية، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1422ه/2002م.

50)علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى1405ه.

51)القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تحقيق حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى1421ه/2000م.

52)القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية، عرب عباراته الفارسية حسن هاني فحص لبنان بيروت 1421 هـ - 2000 م الطبعة الأولى.

53)لَبِيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري، ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق حمدو طمّاس، دار المعرفة، الطبعة الأولى1425ه/2004م.

54)ليلى عباس خميس، مقال سبل إزالة الغموض عند القاضي عبد الجبار المعتزلي، مجلة كلية التربية الإسلامية العدد 57 /2009.

55)مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة 1416هـ/1996م.

56)محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.

57)محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان1415هـ/1995م.

58)محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير المعروف، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1420هـ/2000م.

59)محمد بن إبراهيم الوزير، الرّوض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم (وعليه حواشٍ لجماعة من العلماء منهم الأمير الصّنعاني)، تقديم فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، اعتنى به علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

60)محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، متن القصيدة النونية، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، الطبعة الثانية1417هـ

61)محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى2001م.

62)محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله، الجامع الصحيح حسب ترقيم فتح الباري، باب فضل من قام رمضان، دار الشعب القاهرة، الطبعة الأولى1407/1987.

63)محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420هـ/2000م.

64)محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب دمشق وبيروت، الطبعة الأولى1414ه.

65)محمد بن عمر الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت.

66)محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، باب ما جاء في أنّ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي بيروت.

67)محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت 1420ه.

68)محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى1418ه.

69)محمد مفتاح، مجهول البيان، دار توبقال الدار البيضاء المغرب الطبعة الأولى1990م.

70)محمود بن أبي الحسن (علي) بن الحسين النيسابوريّ الخزنوي، أبو القاسم، الشهير بـ(بيان الحق)، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، تحقيق سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، جامعة أم القرى مكة المكرمة1419ه/1998م.

71)محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية حمص سورية، (دار اليمامة-دمشق-بيروت)، (دار ابن كثير-دمشق-بيروت)، الطبعة الرابعة1415ه.

72)موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن أبو منصور ابن الجواليقي، شرح أدب الكاتب، قدّم له مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي بيروت.

73)نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى1416ه.

74)يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية بيروت، الطبعة الأولى1423ه.

75)يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي أبو يعقوب مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الثانية1407هـ/1987م.

الفهرس

تقديم

المحاضرة الأولى الدّلالة بالقطع والاحتمال

1- الاشتراك اللّفظي في معنى المفردة

المحاضرة الثانية الاشتراك في دلالة الصيغةعدم التبيّن من كون القول كلمة أو كلمتان

2- عدم تبيّن أصل الكلمة أو وزنها.
3- المجيء بصيغة تفضي إلى اختلاف محتمل في الإعراب والدّلالة
4- ألفاظ تفضي إلى الاحتمال في المعنى
5- الحذف.
6- طبيعة تأليف الجملة
7- التعليق أو الوقف

المحاضرة الثالثة الدّلالة الظاهرة والباطنة

المحاضرة الرّابعة مواضع الدلالة الباطنة

المحاضرة الخامسة المجاز بأنواعه: الضرب الأول المرسل

1. تسمية الشّيء باسم ما كان عليه
2. تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه
3. تسمية الحال باسم محله
4. تسمية الشيء باسم آلته

المحاضرة السادسة الضرب الثاني من المجاز الاستعارة

المحاضرة السابعة أوجه الاستعارةاستعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي

1. استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي
2. محسوس لمحسوس بما بعضه حسي وبعضه عقلي
3. استعارة معقول لمعقول
4. استعارة محسوس لمعقول
5. استعارة معقول لمحسوس

6. تحصيل
المحاضرة الثامنة المجاز المركب
المحاضرة التاسعة الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييليّة
المحاضرة العاشرة الكناية الأولى المطلوب بها غير صفة ولا نسبة
أ- الثانية المطلوب بها صفة
ب- الثالثة المطلوب بها نسبة
المحاضرة الحادية عشر مستويات التحليل عند أهل اللغة
المحاضرة الثانية عشر التأويل
المحاضرة الثالثة عشر الملاحن
المحاضرة الرابعة عشر التعريضالضرب الأول منها ما ورد في القرآن
أ- الضرب الثاني ما ورد من السنة النبويّة
ب- الضرب الثالث كلام أمير المؤمنين كرم الله وجهه
ج- الضرب الرابع ما ورد في كلام البلغاء من التعريض
د- الضرب الخامس فيما ورد من التعريضات الشعريّة
ه- التّعريض عند عموم النّاس
و- التعريض العملي أو بالإشارة
ز- بيان موقع التعريض
ح- بيان التفرقة بينه وبين الكناية
ط- الأغراض البلاغية لاستخدام التعريض
قائمة المصادر والمراجع
الفهرس